شظايا الانكسار

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 7 - 406 - 79- 9947 - 978 : (ISBN)
التوزيع الدولي للكتاب: مصر، لبنان، العراق، الأردن، السودان

اسم العمل: شظايا الانكسار
اسم المؤلف: فاطمة الزهراء بولعراس
تصميم الغلاف: بوغدو محمد إسلام
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج:حمودة كوثر

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

المثقف للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

فاطمة الزهراء بولعراس

شظايا الانكسار

الإهداء

إلى أمي مع كلّ الحب.

إلى والدي مع الامتنان

مقدمة

من أجل كل نفس منكسرة تناثرت شظاياها على رماد اليأس،و جُرحت عزّتُها بمخالب الكيد والغرور.

من أجل كل روح عبقتْ بالصفاء والطّهر والحياء.

من أجل نفس كانت آمنة مطمئنة، فانتُزع أمنها اغتُصِب اطمئنانها وهي غافلة.

من أجل تلك النفوس المقهورة التي تتعذب في صمت وتصرخ بلا صوت.

من أجلها لملمت شظايا انكساري المتناثرة شظية شظية ورحتُ أحاول عبثا أن أعيدها إلى مرآة الحياة !

إنها شظايا اختلطت بالدماء والدموع وامتزجت بالآهات والزفرات، وفاضت بالأوجاع الشهقات واستطاعت أن تنزف في أعماقي دما كتبتْ به أوجاعها وبفيض دمعها غسلتْ أدران نفسي فرأيتُ

تلك النفوس المنكسـرة وأحسسـتُ بوخز شـظاياها الأليم فـي عمـق أيامهـا ولياليهـا! وهكـذا نفـذتُ إلـى آلامهـا واسـتمعتُ إلـى حسيسـها الهامـس فنقلته علـى صفحات القلـب . وأسـكنته بيـن ثنايا الحـروف.....

ف الزهراء

مقدمة

كتابة المرأة وجودها

أ.د.بشرى البستاني

العراق

**

أن تكتب المرأة يعني أنها تمسك بوجودها وهويتها وتعبر عنهما ..

وكلما دار الحديث عن كتابة المرأة الذي شاع كثيرا مع النسوية والنقد النسوي ومحاورهما ، لا أتردد عن القول إن المرأة تكتب تجربتها الإنسانية ومضامينها الفكرية وتشكيلاتها الجمالية بقلمها وصوتها ومخيلتها، مؤازرة بكتابتها الرجال النبلاء في دعم قضية الإنسان المجروح في وطنها وفي كل أرجاء العالم ،تكتب بلغتها التي لم ينجزها الرجل منفردا ، بل شاركت بإنجازها جهود النساء عبر تاريخ طويل من المكابدة ، فما نعاني منه اليوم من تحيز ضد النساء ليس هو التحيز الوحيد الذي يُعيقنا ، بل نحن إزاء تحيزات

أكثر شمولية وأشد خطورة، لأنها تحيزات تقف بالضد من الانسان ومن مشروع حياته النبيل. وإذا ما أردنا تغيير اساليب اللغة من منحازة للذكورة والعنف إلى لغة إنسانية منفتحة فعلينا الاشتغال على تغيير الثقافة ومنهجياتها وتغيير منظومات المجتمع وتطويرها من ثقافة وتقاليد متحيزة ذات توجهات أحادية إلى ثقافة إنسانية ذات مرونة عالية تعتنق قضايا الإنسان وتدافع عن أحلامه المشروعة، وهذا التغيير يحتاج لجهود جبارة ؛ لأنه يعمل على تغيير بنية ذات سطوة عاتية متجذرة في مجتمعات هيمنت عليها غطرسة تاريخية وما تزال، وحين تكتب المرأة موقفها المائز بثقافة رصينة ومعارف واثقة وفنية راقية فإن هذه الكتابة لن تكون إلا بلغة لا تمثلها حسب، بل تتماهى معها ، وتحقق حضورها الجمالي، أما الاختلاف فالمطلوب ألا يكون اختلافا عن طرائق تعبير الرجل حسب، بل الأهم أن يكون مختلفاً عن السائد من أجل تحقيق النص الذي ترتضيه معبراعن موقفها الفني وليس صراعاً مع الرجل أو تحديا ومنافسة له، بغية تحقيق أجواء الألفة وتشكيل الانسجام.

إن ما يدور عن إبداع المرأة وكتابتها وعن لغتها كثير ومتباين ، والكلام عن اللغة وجنس المتحدثين بها يتشعب تشعبات كثيرة ويطرح اسئلة مشروعة منها، هل تعد اللغة منجزا ذكوريا صرفا، وأين كانت المرأة يومذاك، أليست المرحلة الشفاهية هي الأطول في حياة الإنسان وهي المرحلة التي شكلت أوالية اللغات في كل العالم، ومتى بدأت قضية التذكير والتأنيث في اللغات إذا علمنا أن ثنائية الذكر / الأنثى من القضايا التي ظلت ملحة وملتبسة كذلك في الفكر الانساني كونها مواكبة لوجود الانسان ،لكنَّ بدءها وتطورها ظلا غامضين، وإذا علمنا أن دراسة العلاقات اللغوية هي بالضرورة دراسةٌ للمجتمع الذي أنتج هذه العلاقات كما يؤكد شتراوس، وأننا حين نلجأ لتحليل لغة ما إنما نعمل على تحليل علاقات وحقائق اجتماعية؛ تتناول الاستعمال كما يوكد كولر، فإن القضية تخرج من الأطر الضيقة التي تحاول ثنائية الذكر/ الأنثى زجها فيها حين تغدو قضية تخص المجتمع بأكمله ، فالحياة التي تدور فيها كتابة الأدب الذي أكتبه - أنا المرأة – هي نفسها الحياة التي

تـدور فيهـا كتابـة الرجـال إلا مـا يتعلـق بخصوصيـات مـن جوانـب جسـدي المختلفـة عـن جسـده وتجـارب هـذا الجسـد ، أمـا المشـاعر والأحاسـيس فهـي مختلفـة بيـن الجميـع رجـالا ونسـاء ، ولذلـك فـإن أسـاليب التعبيـر عنهـا سـتختلف.

اللغـة واحـدة فـي تعريفهـا ،محايـدة فـي موقفهـا فهـي «أصـوات يعبـر بهـا كلُّ قـومٍ عـن أغراضهـم» و«نظـامٌ مـن العلامـات» حسـب ابـن جنـي والجرجانـي ولكـن الأسـاليب هـي التـي تتبايـن ، والحيـاة أوسـع أفقـا مـن أن نخالهـا دائـرة بيـن حقليـن متضاديـن ، حقـل للمـرأة وآخـر للرجـل ، ذلـك أن حيـاة اليـوم التـي نكتـب فيهـا وعنهـا هـي حيـاة أكبـر وأشـد تعقيـداً. ان اختـلاف الموضوعـات والفكـر والـرؤى والمواقـف والثقافـات هـو الـذي يحقـق اختـلاف اللغـة حتـى بيـن افـراد الجنـس الواحـد ، فحيـن أكتـب قصيـدة أو خاطـرة أو قصـة أو روايـة تسـتنكر وقـع عـدوان العولمـة الأقتصاديـة علـى العمـال الذيـن قُطعـت أرزاقهـم وعلـى أسـرهم، سـيختلف أسـلوبُ لغتـي عـن لغـة كاتبـة عربيـة تكتـب عـن العولمـة الافتصاديـة مبـررة مشـاريع احتكاراتهـا. فاللغـة عبـر تاريخهـا ظلـت متأصلـة

فـي صميـم ثقافـة المجتمـع ، ولمـا كانـت المنظومـات الثقافيـة والقيميـة منحـازة للرجـل ، فإنهـا هـي التـي دوّنـت اللغـة باسـمه وفكـره فجعلتهـا ذكوريـة وعملـت علـى اسـتمرار تسـييدها.

إن لغـة المـرأة تعبـر عنهـا كيانـاً إنسـانيا لـه شـبكة علاقـات خاصـة ، ولـه عالمـه الخـاص كمـا أن للرجـل عالمـاً خاصـا.

نصـوص الكاتبـة فاطمة.الزهـراء بولعـراس تعبر عنها في سـياق معيـن ، هـو سـياق الحيـاة العربيـة الطافحـة بالعنف والخـذلان وتؤشـر ملامـح الحـزن والحلـم والألـم، وتفصح عـن رومانسـية مازالـت تأخذ المرأة لعوالمهـا بعد الأفوال:

«أنـا نفسٌ مستسـلمة فـي محـراب الكلمـات رافعـة أيـادي الإشـراق إلـى غيمـات الأسـرار تسْـتجْدِي كل الأنـوار مـن الكـون الفسـيح.....

تُصغـي إلـي التسـابيح التـي ترفعهـا الكائنـات وفـي أعطافهـا أدعيـة التقـوى ...

ومـا عـدت أرى غيـر هـذه الأنـوار ومـا عـدت أسـمع غير تلـك التسـابيح التـي تهـز الوجـدان وتُرقـص الروح»

ونحن نريدها امرأة قوية بالغة الجرأة ،تخوض معترك الواقع بشموخ ،وتنتزع من تجاربها فيه العبرة والقوة والخبرة والشراكة مع الرجل في المواجهة والمجابهة والتصدي من أجل وطن أجمل وشعب أكثر سعادة وقدرة على معالجة عوامل السلب والتردي..وهي لقادرة على ذلك بجدارة يشهد لها تاريخها النضالي العتيد..وهي تتقدم باطراد نحو أهدافها.

إشراقة الروح

حين أنقب في ذاكرة أيامي يبادرني ذلك السواد القاتم من لحظات التلظي بنار الكيد والإيذاء وأنظر في الزوايا المهملة فتحاصرني شزرات العيون المليئة بالغيرة والحسد مع أنه ليس في الراح ولا في المراح شيئا يغار منه أو يحسد عليه أحد، لقد تعودتُ على تلك النظرات المقيتة وأسقمتني بحدتها وألفتُ تلك اللفتات الكريهة وعذبتني بغرورها وقسوتها، وهكذا وجدتني أقضي أيامي وأنا أختفي في نفسي من نظرات الآخرين ومن نفسي المملوءة بالحسرة والضيق، لا أنا استطعت أن أجد لنفسي في المجالس متكأ يليق بي أو يريحني، ولا استطاع الحاسدون إدراك استحالة القضاء على ما يريدون اقتلاعه من صدري من ألق أشيه بالسحر يجذبني فلا أستطيع منه فكاكا يغيظهم ولا يستطيعون له إدراكا، وقد ضاق بالمحاصرة ذرعا فانطلق لا يلوي على شيئ وتدفق ولا حاجز أصبح يثنيه عن المسير، وكلما تعثرتْ بي أقدارهم في

التماثيل الصماء تساءلت والألم يعصر فؤادي؟؟

ماذا جنيت إذ ألهمني الله وحيا من خزائن الشعور والأحاسيس؟؟ ووهبني حبّ الجمال والبهاء، وفتح لي في عين الوجود حدائق من ألق ،أَدركها قلبي المرفرف في جنان الأماني ورياض الآمال، ذلك القلب الذي يشبه فراشة ملونة تهيم بالنور وتحترق بالنار دون أن تدري... بلى وهي تدري... وتدري....

وماذا أفعل إن كنت أحبّذ التعبد في صوامع الخيال على الاستئناس بمجالس النميمة

... وأفضل التخفي في مسوح النساك على الازدهاء بأثواب الفرح.... التي لم تدرج الياسمين في تصميماتها المدهشة ولم تطرّز تلك التصاميم النادرة بخيوط الشمس والقمر. ولم تجعل للنجوم رسما في مساحاتها المتلألئة بالزرقة الأثيرة حين صرخت آهات الحسرة لمغادرتي مملكتي االسوداء في رحم الحياة شُحذت سكاكينُ الغيرة والحسد فاستطالت بِعُمرِ الكون وامتدت بامتداد الوجود ودقّت حتى غارت أنصالها الحادة في تفاصيل الأيام والليالي في حياتي المتعبة! وأنا لا قدرة لي على الطعن ولا على المقاومة ..

أنـا نفـس مستسـلمة فـي محـراب الكلمـات رافعـة أيـادي الإشـراق إلـى غيمـات الأسـرار تسْـتجْدِي كل الأنـوار مـن الكـون الفسـيح، تصغـي إلـي التسـابيح التـي ترفعهـا الكائنـات وفـي أعطافهـا أدعيـة التقـوى ،ومـا عـدت أرى غيـر هـذه الأنـوار ومـا عـدت أسـمع غيـر تلـك التسـابيح التـي تهـز الوجـدان وتُرقـص الـروح ،ل

قـد حذفـتُ الحقـد مـن قامـوس الكلمـات بعـد أن عانيـتُ مـن نواصلـه التـي حـزّت لحمـي و نخـرت عظمـي ولـم أسـتطع منهـا نجـاة حتـى وأنـا أرش علـى جمـر اللظـى بلسـم الخيـر والصالحـات.

أنـا نفـس تربّـت في أحضان البـراءة وتعبّدت في صوامع الفطـرة مسـالمة ومستسـلمة أكـره الدسـائس والأكاذيـب وأعتقـد أنّنـي أدركـت السـر المسـتبين فالتقطـت منـه هـدى الخطـوات ولا أريـد أن أخطـو بعـد الآن بـلا هـدى ؟؟

ومـع ذلـك فأنـا أتعثـر فـي كل صلـب قـاس مـن الحجـر وأنكفـئ علـى وجهـي كل حيـن وحيـن.... وأكاد أسـقط فـي ألغـام الحقـد والكراهيـة التـي لا أعـرف أنواعهـا ولا ألوانهـا ولا أفهـم لمـاذا تُلقـى هنـا وهنـاك ...

أنـا أعشـق النـور وأُشـرب بـه قلبـي وأنـواري شـموس وأقمـار تـدور دوران الكـون ولا تحتـاج إلـى زيـت كـي تضـيء ولا إلـى مـاء لتنطفئ.وأنـا علـى يقيـن أن السـماء المغطـاة بسـحب الأكاذيـب والرّيـاء سـرعان مـا تنقشـع ويبـزغ مـن بينهـا ضـوء سـاطع يأبـى إلا أن ينبثق وينتشـر علـى البطـاح فـي يـوم قـد يطـول انتظـاره... وسـتكون بـوادره متلألئـة مثـل بـوادر انبـلاج صبـح منيـر مـن ليـل داج شُـدّت أمراسُـه لا إلـى صـم جنـدل لكـن إلـى طحالـب غـارت فـي أعمـاق البحـار ....

جيجل مارس 2008

عتاب

مالــي أراك وقـد مـلأ السـواد أعماقـكِ رحـتِ تسـربلينه علـى كل مـن حولـك ولا تريْـن منهـم سـوى سـوء النوايـا ومكـر الخديعـة؟

مـا لـذي يثبـتُ لـك أن الأمـور هـي كمـا ترينهـا أنـتِ، ألا تلاحظيـن أن هـذه القتامـة قـد صبغـت عينيـك فلـم تعـودي تنظريـن بغيرهـا؟؟

أنـت تتهميـن الآخريـن بالكـذب والريـاء والنفـاق وتدّعيـن أنـك وحـدك تطهـرتِ مـن هـذه الصفـات...

وتقرريـن أنـك وحـدك تأذيـتِ بأذاهـا وأنـك وحـدك تبيحين لنفسـك أن تصرخـي بـكل قـواك فـي سـاحة الحـروف منـددة بمـا تتعرضيـن لـه مـن ظلـم وأذى.... ولنفـرض أنـك بسـريرة ناصعـة البيـاض وأنـك فعـلا تتعرضيـن لـلأذى وتعانيـن فـي غياهـب الظلـم والظلام، مـن أي موقع تسـمحين بـه لنفسـك أن تحاكمي منه هـؤلاء الآخرين أليس مـن موقـع الأثـرة أو ليسـت الأثـرة مـن أذم الصفـات؟!

مـن ذا الـذي يؤكـد لنـا ولـك وحـدك قبـل أي إنسـان آخـر

أنـك كنـتِ تلـك النجمـة السـاطعة التـي اسـتعصت علـى الآخريـن؟

هـؤلاء الذيـن تلطّخـت أيديهـم بالمكـر وتسـربلت نياتهـم بالخـداع...

مـن حـق هـؤلاء (الآخريـن) كمـا تسـمينهم أنـت ....مـن حقهـم أن يقارعـوا الحجـة بالحجـة ويدحضـوا التهـم بـا لأدلـة والبراهيـن... .

ثـم كيـف يكـون كل هـؤلاء معـا علـى ضـلال عندمـا اتفقوا عليـك وتـآزروا فـي ظلمهـم ليجعلـوا منـك تلـك الضحيـة التـي لا تشـبه هـؤلاء(الآخريـن) وتكونيـن وحـدك علـى الصـراط المسـتقيم؟؟

أليس هذا نوع من الغرور والتعالي؟

ومـا لـك لا تنظريـن إلاّ لذاتـك تسـتخرجين الحكمـة مـن أغوارهـا السـحيقة ولا تنصتيـن إلا لنفسـك وحكاياتهـا التـي قـد تكـون مقيتـة؟

فمـن أدراك أن لحكمتـك صـدى فـي نفـوس هـؤلاء الذيـن تسـمينهم الآخريـن ألسـت أنـت * الأخـرى* قـد لقـي منـك هـؤلاء مـا تلاقيـن منهـم، وما دليلـك على أن هـذا لم يحدث

ولمـاذا تصرّيـن علـى أنـك وحـدك تتميزيـن بالاختـلاف وتنفرديـن بالتميـز؟ ولا قـول إلا مـا تقوليـن ولا حقيقـة إلا مـا تلفظيـن ولا توقيـع إلا مـا تخطيـن؟ أليـس صمتهـم فقـط هـو مـن يعطيـك الفضـاء الفسـيح بـأن تقولـي مـا تعتقديـن وغيابهـم فقـط هـو الـذي أبـاح لـك مـا تقرريـن؟ وأفسـح لـك مجـالا أنـت وحـدك فيـه مـع طواحيـن الهـواء تتصارعيـن معـه بعصـي لا منظـورة وتهويـن بهـا علـى أحلامـك ثـم تحولينهـا إلـى كـره ومقـت وخـواء؟

مـن الـذي أبـاح لك أن تعمـري الكلمات بالخيبـة والحروف بالسقطات و العثرات؟؟

مـن الـذي فصـل فـي أمـر نزاعـك مـع هـؤلاء وجنّبهـم الصـواب فجانبـك الحـق والعـدل؟ فرحـتِ تصبيـن عليهـم جـام حرفـك ونقمـة لغتـك واسـتحضرتِ لهـم مـن بحـر الـكلام سـواده وتلاطـم أمواجـه ومـن غـوره مـا سـاء وعافتـه نفـوس الخلائـق؟ وظاهـرتِ عليهـم بالحـادّ مـن المفـردات والجـاد مـن المعانـي القاسـي مـن الألفـاظ بينمـا سـخّرتِ لنفسـك أكمامهـا ورائحتهـا وشـذاها؟؟ تلـك التـي سـتنبثق عـن صلاحـك وتتجلـى بفلاحـك وأنـت أنـت التـي

لا يجانبك الصواب ولا يحضرك الخطأ ولم تدركي أنك في منتهى أنانيتك تهرفين وعلى سلطان الأثرة نصبتِ عرشك ومنه رحت تخطبين ولا تلوين على نهج أو تفكير وفي لب ما تنهين عنه رحت تخوضين وتتبجحين أفلا تنتهين وتنتهين وتنتهين؟؟ .....

هكذا كنت أسأل نفسي قبل أن أخطّ حرفا أو أفكر في نثر الأسى هنا على رقائق الفؤاد.. وما غرضي أحكاما أو انتقاما وما هدفي شهرة أو مالا .ومع ذلك فقد حيّرني هذا السؤال حتى انطويتُ على نفسي ولم أعد أتكلّم ولا أفكّر ولا أبدي رأيا مهما كان ،... لأن التمادي في الغي ظلم حتى لو أطلقتُ عليه اسما آخر من الرونق والبهاء وألبسته تيجانا من الألق والنور ولقد جاءت علىّ أيام أهنت فيها نفسي إلى حد التلاشي و أقرحتُها بمختلف أنواع اللّوم والتقريع وعارضتها واختلفت معها وناقشتها وأبديت أدلتهم قبل حججي وأضفتُ إلى ألمها مالا تطيق من الألم و إلى ما فاضت به من أسى، بل كنت أنعتها هي أيضا بكل الصفات الذميمة التي يجود علي بها قاموس اللغة

ولا أنثني أن أزنها في ميزان الحروف بلينها وقاسيها ولا أستحي أن أجعلها تعترف بذنبها وتقر بخطئها.. ..ومن منا لا يذنب ومن منا لا يقترف الأخطاء؟؟ ، إلا أن تلك الأوقات سرعان ما كانت تنقضي سِراعًا وتعود إلىّ حالة الصّفاء التي أرى من خلالها نفسي وقد حاولتُ كثيرا أن أسلخَها من أنانيتها وأعرّيها من أثرتها وإن بقي فيها شئ منهما فلكى تتقوى به على لفظ بفايا ألمها وفتات حزنها لأن للمعاناة حرائق لا تقوى اللغة على مجاراة ألسنتها المتراقصة في سماء العمر... ولا تستطيع التخلص من أبخرة دخانها الذي يخنق الصدر.. ويلوّث الروح ولذلك فإني سأقدمها في ميزان هذه الحروف وتلك الكلمات وأشهد ها على صدقها لأنه ليست لدي شهاداتٌ غيرها، وهذه الكلمات هي محكمتي وحروفها هم قُضاتي ووكلاؤها هم قرائي وما يفهمونه بين طياتها، وقانونها هو حرّيتي في الصراخ إن كنت لم أستطع دفع الأذي في حينه وعشتُ عمري ألمْلِمُ رماد احتراقي لأخط به ألم الروح فتصوروا بأية روح هشة كالرماد أعبّ هواء

وجـودي؟ وبـأي لـون باهـت كلونـه اسـتقبلتني الكلمـات؟ فـلا قـوة لـي إلا إذا كان لـهذا الرمـاد قوة تذكـر ولا لون إلا إذا كان لـهذا اللـون نـوع مـن اللمعـان.. إلا أننـي أعتقـد أن الصّـدق وحـده صانـع كلماتـي ومحيـي حروفـي ومطهّـر نفسـي مـن كل مـا علـق بهـا مـن نـدوب الحيـاة وجروحهـا العميقة.. وأنا اعتقد أن صفاء النفس هو أصدق عهد لأي حديـث... فلـو كنـت ظالمـة لمـا انبثـق النـور مـن أعماقـي المسـربلة بسـتائر الظلمـات ليدفـع عنـي كيـد الكائديـن أنـا مـا كنـتُ هكـذا أحمـل الأسـى فـي ثقـوب ذاكرتـي بـل كنـت أمـدّ يـدي لـكل الأحيـاء وأنـا أشـهد هـذا النـور علـى مـا أقـول إذ ليـس لـي فـي الحقيقـة شـاهد غيـره وهـو العـدل الثانـي الـذي أضفتـه إلـى الكلمـات ولـم أعـد أراعـي شـيئا... و أعتـرف أننـي اعتقـدت أننـي وحـدي حبانـي المولـى بألـوان الخيـر وسـجايا العطـاء وأننـي سـأكون مميـزة بسـخاء شـعوري وجـود محبتـي... ومـا كنـت أدري أن العواطـف أيضـا تنتهـي والمشـاعر تسـتنزف كمـا الأشـياء وهكـذا عرفـتُ فيما بعـد أن الأيادي المضمومـة بشـدة والأصابـع المعقـودة علـى الرّاحـات فـي

استماتة تخفي ألوانا أسطع وأروع.. وأن سذاجتي كانت لا توصف... وغبائي كان فاضحا وكدت أسمع تلك القهقهات الساخرة من ورائي.. في حين كنت أنتظر بسمات العِرفان ،وبينما كان هؤلاء يستأثرون لأنفسهم ولمن يؤثرونهم، وكنت أراهم مخطئين أو أنانيين مع أنهم لم يكونوا في حاجة لرأيي ولا يهمهم اعتقادي لا أنا ولا غيري من الباحثين في فلسفة الحروف وحكمة الكلمات... إلا أنني رأيتهم يعيشون سلام الروح مع أرواحهم التي فضّلت الأثرةَ مع التدني.. على الإيثار مع الندم والتشفي، كنت لا أزال غرة بلهاء أبتسم لمن كان يبتزّ صباى وثروتي ويضحك استهتارا بسخائي الذي كان في غير محله تماما..

فهكذا كان يراه هؤلاء وأدركتُ أنا ذلك متأخرة بكثير، فحين جدّ الجدّ والتحم العظم بالعظم في هيكلي وجدتُ الحصى يحفر أقدامي في اليوم الأسود وحيدة فيما أصابني من جلال الخطوب وتشابك الدروب وإذ سخر مني بعض القوم ونعتني بعضهم بالسّفه لأنني لم أكن حصيفة وأدخر لأيامي الحالكات ونصحني

بعضهم بأن آكل ريشتي وأتدثر بصحيفتي وأن أرقص على أشعاري وأصفق لأفكاري التي انمحت في ماء النسيان،وتوارت وراء ضباب النكران دون أن تترك فيه أثرا وذابت في نار الإهمال ولم تخلف شيئا حتى الرماد.. ولقد ابتلعتُ الغصص تلو الغصص.. ما شكوتُ مرارتي وأسلمت للصمت قهري وكل أمري، وصبرتُ على الأذى.... ثم فاض الكيل وطفح ولم أقنع بأن أمري قضى بأمر من هؤلاء وأن حكمهم نفذ في كتم أنفاسي بقطع أمراسي... وكان علي أن أظهر ما ينفع الناس ويمكثُ في الأرض لكي يذهب الزبد جفاء، كما عقدت أمري على شد إصري مهما ظهر من ضعفي وبان من قسري.. فاعتكفت في خبائي الغني بكل الحكايا والقصص والأشعار ورحت أعبّ منه عبّا وأكرعُ كرعاً وأدوّنه على صفحات المعاني صفحةً صفحةً وأخطّه في ثنايا الحروف كلمةً كلمة، وكنتُ على يقين أن الذين سخروا مني وإن كانوا لا يقرءون إلا أنهم يعرفون يقينا أيضا أن نثير الصحائف ليس للبيع كالطوب الذي يعلونه ويعتلونه ولا كالذهب

الـذي يكنزونـه ولا ينفقونـه، وأنهـم وإن كانـوا لا يعرفـون للرقـة معنـى ولا للجمـال مبنـى فإنهـم لا شـك يدركـون أن صحيفتي ظاهرة للعيان وهي من النعامة والروعة بحيث تحفظ فـي جلـود ملونـة وتقـرأ على مهـل من عيـون ولهى بالحـب والجمـال عندمـا تنـام أعيـن الرقباء مـن أمثالهم....

إنـه زمانكم

هكـذا ينقضــي العمـر ويسـيل مـن بيـن أصابـع الزمـن كقبضــةٍ مـن الهـواء لا أثـر لهـا أمـام زمـن العواصـف الهوجـاء التـي داهمـت أيامـه ولياليه وعاشـت فـي تفاصيل السـاعات والدقائـق فـي لحظاتـه تلـك التـي لـم تعـد خافيـة علـى أحـد، كحبـات رمـل تناثـرت فـي بيـداء شاسـعة لا أثـر لهـا ولا لـون فـي تلـك البيـداء التـي تكدسـت رمالهـا وتكاثفـت كثبانهـا علـى مرمـى البصـر الضريـر الـذي أعمتـه ذرات الرمـال وطمسـت نـوره كثـرة الكثبان،فمـا أدرك ببصـره بعـد شـيئا جميـلا ذا بـال، وعندمـا انشـغلتُ بتنقيــة مآقــي الــروح كانــت الــذرات قــد عبثــت بنــور العين،وامتــدت إلــى شــغاف النظــر، فانطمــس بالعتمــة وانغمـس فـي الظـلام، وكان مـا كان.... ولـم يعـد العمـر يملـك مـن العمـر شـيئا.

يا أيها العمر الذاوي !

كيـف انسـحبتَ منّـي دون أن تبهرنـي ببريقـك السـحري والذي خبأته في أحلام الصبا مع ما خبأت من أحلام

ثـم انتظرتـه فـي فـورة الشـباب وإشـراقه فمـا رأيـت شـيئا مـن ألقـه ومـا أنسْـتُ شـيئا مـن جموحـه.

هـذا الألـق الـذي كنـت أراه فيبهرنـي و ينتظـر منـي دفعـا أشـبه بالمعجـزات لكـي ينطلـق, لكـن العتمـة الظلمـاء داهمتـه فلـم أعـد أراه حتـى فـي أحلامـي عتمـة داهمـتْ روحـي منـذ أُقتلعـت أجفانـي ومعهـا أحلامـي وعيونـي ومـع ذلـك رحـتُ أخبـط خبـط عشـواء فـي عتمتـي أتحسـس بيـدي المرتجفتيـن أشـياء بـاردة قاسـية فينـزل صقيعهـا علـى قلبـي ويحولـه إلـى جليـد .

كنـت آمـل أن أجـد فـي صحـراء حياتـي شـيئا مـا ينبـض بالحيـاة دون جـدوى،...كل مـا عثـرتْ عليـه يـداي المتلهفتـان والمتشـبثتان بالسـراب جمـادات، جمـادات حوّلهـا الكـره إلـى تماثيـل بـاردة خرسـاء نقلـتْ إلـى الـروح برودتهـا القاتلـة وخرسـها الأصـم.. بعـد أن جمّدتْ فـي صقيـع ثلجهـا فـؤادي وأذابـت فـي حـر نيرانهـا كل مشـاعري وسـحقتْها بتلـك النظـرات التـي لا توصـف والقـرارات التـي لا تؤلـف والإمـلاءات التـي لا تنتهـي واللاءات التي لا تنقطع.... وولقد صرختُ بكل قوتي

وأنـا أرى العمـر يمضـي حثيثـا ولا يتـرك سـوى اليـأس والرمـاد. مهـلا أيهـا العمـر أُسـمعُ كلماتـي لهـؤلاء الذيـن قتلـوا كل جميـل فـي أيامـك المريـرة بتكبرهـم وجهلهـم ونفاقهـم وضلالهـم

أيها المتكبرون!

لمـاذا لا تمارسـون طقـوس الصّلـف إلا فـي حضـرة المتواضعيـن بينمـا تلهب ظهوركم سياط المتعالين فتدفعكم إلـى الانحنـاء والتملـق ؟ وهـل كنتـم سـتكونون كذلـك لـولا سـجايا هـؤلاء الطيبيـن؟؟ مـا كنتـم لتخرقـوا الأرض ولا أن تبلغـوا الجبـال طـولا ولكـن الصّعـار الـذي ألـوى أعناقكـم وحـرّم عليهـا الـدوران مـازال يزيـد غيكـم شـأوا بعيـدا ويحثكـم أن تخرجـوا مـن المزيد مزيـدا.... وأنا على يقيـن أنكـم لـن تكفـوا ولـو كففتُ ولـن تنثنـوا ولـو انثنيـت وسـتواصلون شـئت هـذا أم أبيـت ...والأسـوأ من هـذا أنكم لـن تعـودوا ولن ترجعوا ولو كنت سـأقضي أو قضيت....

أيها الجاهلون!

لمـاذا تصابـون بالصّمـم والعمـى ثـم بالصمـم والعمـى إذا مـا رأيتـم الحقائـق سـاطعة أمـام ناظريكـم وتتصلّبـون كمـا الجـدران أمـام مـن لا يريـد قفـز حواجزكـم، ولمـاذا لا

تسـمعون أو تعـون إلا أمـام الصّـم البُكـم العُمـي الذيـن لا يُبصـرون؟ أمامهـم فقـط تفتـر أسـنانكم عـن ابتسـامات الرضـا الصفـراء التـي تـدارون بهـا خيباتكـم أمـام مـن يشـبهونكم مـن هـواة الحواجـز والجـدران الفولاذيـة التـي لا تهزهـا الريـاح والعواصـف....

أيها المنافقون !

لمـاذا لا تؤمنـون إلا بمـا تهرفـون، وتقولـون مـا لا تفعلـون وتفعلـون مـا لا يقـال، تتظاهـرون بالزّهـد والعبادة وعبادتكـم الأنـا والهـوى... تتسـابقون إلـى الأقـداس كـي تطهركـم فـإذا بكـم تدنسـونها بقذارتكـم التـي لا تنتهـي وتلوثونهـا بنافقكـم الـذي لا يخُفـى وهـل كان النـاس لايرونكـم بغيـر عيـون القلـب؟؟ وهـل كانـوا لا يفهمونكـم بغيـر استشـعارات الـروح التـي لا تخطـئ أبـدا ؟؟وهـل كنتـم لا تعرفـون ذلـك منهـم ولا يعرفـون ذلـك منكـم ،وأنتـم تعرفـون قبـل غيركـم أن مـا تفعلونـه ليـس سـوى مـكاء وتصديـة ؟ فمـاذا أتـم فاعلـون بـي يـا تـرى؟ ومـاذا أنـا فاعلـة بكـم؟؟ وأنـا أقـذف بكلامـي هـذا فـي وجوهكـم وماذا أنتم قائلون إن نعتتكم بأنكم ضالون.

أيها الضالون

... لا يزال العالم بخير ما لم تلوثوه بكذبكم الأبيض والأسود وتحوّلوه إلى زيف مقيت ونفاق بغيض، إنكم تعرفون أنفسكم ويعرفكم غيركم ولكنكم تمضون في غيّكم ما دام الزمن زمن الرداءة والنفاق ومادام العدل مازال يحبو في الأرض ولم يستوِ على قدميه والحق صار أسفل أقدامكم حتى لو كان يعلو ولا يُعلى عليه أنا أعرف أنني لا أستطيع أن أغيّركم لا عندما أخاطبكم ولا عندما ألومكم لأن حصونكم من جهل جدرانه لا تدكها المدافع وقلاعكم من جبن يهرب من زفرة مظلوم وعقولكم من ورق تنثره النسمات الخفيفة، ولكني أعلن أمام الملأ وبأعلى صوتي إني كشفتكم وبدون أن أبذل جهدا ولو طفيفا وعرفتكم لأن قذاراتكم تبين لمن كان كفيفا وأني سأعلن أمام قلمي وأحرفي التي اتعبد في محرابها النقي أني أكرهكم! أكرهكم أيها المتكبرون، أكرهكم أيها الجاهلون أكرهكم أيها المنافقون! أكرهكم أيها الضالون، إني أكرهكم وبعد هذا افعلوا ما تشاءون! !

جيجل –أكتوبر 2008

وتدور العجلة

حيـن تقسـو علينـا الأيـام فإنهـا تحيلنـا إلـى شـواطئ الأحـلام مـن جديـد ننظـر إلـى بحورهـا الزرقـاء وننتظـر عرائسـها الجميلـة التـي نريـد أن نرتـع معهـا فـي الجزائر والخلجـان، مـع أننـا متأكـدون أنهـا لـن تأتـي أبـدا، وقـد تدفعنـا إلـى ريـاض الآمـال وبسـاتين الفـرح نريـد أن نقطـف منهـا مـا لـذ وطـاب مـن فواكـه العمـر وزهـور الحيـاة إلا أن يـذوي العمـر وتنتثـر أيامـه بيـن أصابـع الزمـن الـذي لا يحـسّ بذراتـه القليلـة فـإذا بالآخريـن يتحسّـرون علـى رحيلنـا ومـن جديـد تبـدأ حكايـات الأيـام التـي لا تتكلـم وتمضـي فـي صمتهـا العجيـب تفعـل بنـا أشـياء كثيـرة أغلبهـا لا نحبـه ولا نريـده وهـل كان القـدر قـد استشـار أحـدا منـا ؟؟وهـو يسـطّر انبعاثنـا فـي رحـم الوجـود وهـل كان قـد أخـذ بـرأي مـا وهـو يخـط نهايتنـا الحزينـة ! ؟؟ولقـد جئنـا ولا نـدري كيـف وسـوف نمضـي ولا نـدري إلـى أيـن؟؟ وكلّمـا رغبنـا فـي السـؤال تعقّـدت الإجابـة وكلمـا اقتربنـا مـن حقيقـة ضاعـت حقائق وسـوف

نمضـي و يظـل عمـر الوجـود شـهقاتنا الأخيـرة ونحـن نجـود بهـا آسـفين علـى مـا حملنـا مـن همـوم الحيـاة.... وعمرنـا هـو هـذه الحيـاة وهذه الشـهقات.. ولو أتيـح لليالي أن تسـمعنا لتسـامرنا مـع أقمارهـا ونجومهـا ولـو أتيـح للأيـام أن تصغـي إلينـا لاجتمعنـا في كل أضاحيها نحتسـي عصيـر أيامنـا الهاربـة بـلا عـودة وشـاي عمرنـا المنقضـي بـلا رجعـة.. ولصرخنـا بعمـق وجـع الكـون وأنـات البشـر

أيتها الأيام و الليالي !

كيـف عبثـت بأحلامنـا وكيـف دُسْـتِها بجمـودك فلـم تجعلي لهـا فـي عـدادكِ شـبه وجـود. ولـم تنسـجي مـن خيوطهـا الذهبيـة غطـاء يبهـر العيـون ويجـذب الأبصار،لـم ترصعـي بجواهـرك وقتنـا الـذي سـافر فـي الفـراغ لـم تزينـي رؤوسـنا بأكاليـل المجـد وتيجـان الغـار، لـم تتيحـي لنـا فـي جريانـك أن ننتقـي مـن الزهـور باقـة صغيـرة لمائدتنـا العاريـة مـن الزينـة،ولا أن نجمـع مـن الـورود باقـة لمزهريتنـا الممتلئـة بالهـواء، أو حتـى نَصُـفّ غُصْنـا فـي زوايـا أنفسـنا التـي اختارتهـا العناكـب لأعشاشـها الغريبـة وخيوطهـا المريبـة....

أيتها الأيام،

لم تجمعين بين الأضداد و تمازجي بين المتناقضات، تتفرجين على خبط الحياة خبط عشواء في وضحاتك وهي تضرب بيد من ظلام كل أحلامنا الكبيرة وتسطو بإصرار على أفراحنا المثيرة، ولا تترك لنا من الألحان إلا ما وقر في الآذان وكأنك تحبين سماعها نشازا فلم لا تناغمين الأصوات وقد علّمك الكون كيف تغرد الأطيار وعلمك الأريج كيف تحتفل الحقول بالأزهار لم لا تعزفين على أوتار القلوب كي تضحك الأنهار لم لا ترين شيئا وسنا عينيك يلوح أمامنا ولا نقبض منك سوى العثرات . ولا تسمعين صوتا وحناجرنا بحت من الصراخ؟؟ ولا نجني سوى المزيد من السقطات؟؟

أيتها الليالي

لم تصرّين على إسدال ستائرك السوداء الحالكة على نفوسنا بدل أن تزيني سمائها الفسيحة بفتائِل النجوم وقناديل الأقمار.ولم لا تفتحين ساحاتك الوضيئة بنور ها لأسمارنا وأذكارنا لماذا تصرين على زرع أذرع الخوف في كل منثنى وتبثين عيون الرعب في كل

منحنـى غيـر عابئـة بروعنـا وارتعابنـا مـن السـديم والعـدم فـي عتمتـك القاهـرة، ورهبتنـا وهيبتنـا مـن ا لظـلام فـي وحشـتك الظاهـرة.

أيتها الأيام والليالي!

لـم لا تناسـبين الأنغـام، وتصريـن علـى التسـلية بـأدران النفـوس وأوجاعهـا وجـراح القلـوب وآلامهـا؟ وتصريـن علـى عبـادة وثـن الأوجـاع؟؟ أم أنـك تعودت علـى الرقص علـى الدمـاء والدمـوع عندما تقيمين ولائمـك من صرخات المهمومين وتزينيـن موائـدك بزفـرات الموجوعيـن كـم أنـت قاسـية أيتهـا الليالـي والأيـام تبسـطين شـراعك الأسـود لهـؤلاء دون أن تلمليـه عليهـم لكـي تبلسـمي جراحهـم.... وتطيليـن مسـوحك فـي لياليهـم المخيفـة فتسـتطيل الآهـات فـي صـدور المقهوريـن والمعذبيـن مـن بني البشـر.... وتتسـربل نفوسـهم با لعذابات التي لا تنتهي آه يـا زمـن لكـم أردتُ أن أصـرخ بمـلء فمـي فـي سـديمك المعتـم... لكـي أنطـق خرسـك القاهـر ولكـم أردتُ أن أرقـص رقصـة الذبيـح الأخيـرة أمـام أنظـار القمـر والنجـوم الحزينـة.... ولكـم تمنيـت أن يتحـول سـوادُك

إلـى ضيـاء وصمتُـك إلـى عـزف وأنغـام شـجية، لكـن عجلتـك الصمـاء، شُـدّت علـى أديـم الأرض وانغـرزت فيـه ولـم يعـد بإمـكان أي كان زحزحتهـا مـن مكانهـا إنهـا هنـاك فـي صمـت أعمـى تدفـع بالعجلـة الرهيبـة فتدمـر كل صبـاح أحـلام الليالـي المُقمِـرة وتقضـي كل مسـاء علـى أفـراح الطفولـة الزاهيـة....

جيجل مارس 2007

لِمَ رحلت أمي ؟؟

أكـذب ماما إن قلـت إنـك لـم تعذبينـي، وأنـا لا أريـد أن أكـذب حيـن أخاطبـك وأناجيـك بروحـي العليلـة بـكل أنـواع القـروح والجـروح ،التـي لـم أجـد بلسـما لهـا منـذ ضعـتُ منـكِ وضعـتِ منـي ذات حـزن ، أنـا تعلّمـت المعانـاة ممـا كنـت تعانيـن فعشـتُ الخـوف والمـوت فـي ذرات جسـدي وجزيئـات روحـي ولبسـني الإحبـاط وأنـا لـم أعـرف لـه معنـى بعـد، كان الحنيـن الأبـدي الـذي أحسسـته منـذ صبـاي، حنيـن إلـى أُم لا تمـوت عندمـا جعلـتُ مـن المـوت شـبحا يطاردنـي كـي يأخذنـي منـك أو يأخـذك منـي، حنيـن إلـى دهـر لا يحـول، ولا يـزول عشـتُ أنتظـر متـى يتحـول مـن المجـن دهـري فتمنيـت تلـك الأمانـي المسـتحيلة، أصدقـك القـول يـا أمـي أن معاناتـك جعلـتْ منـك مـلاكا جميـلا يضـيء صبـرا وجلـدا لقـد اسـتعنتِ علـى البـلاء ببسـمتك الحنونـة التـي لـم أعـد أذكـر سـواها، لا أقـول أنـك لـم تثـوري لـم تتذمـري سـأكون كاذبـة، وأنـا كمـا أسـلفت لا أريـد إلا أن

أكون صادقة خاصة معك يا أعز الناس بعدك يا أمي لم أعد أرى شيئا ، لم أعد أحس بالشمس ولا بالقمر ولا بأزهار الربيع، هي كلمات أسمعها من أفواه الآخرين فلا تعنيني وكأنها أشياء موجودة في كوكب آخر! هناك كلمات كثيرة اختفى معناها من حياتي الفرح،السعادة الأمل، الأمن والطمأنينة، لازلت أسمعها فلا تعبر لي عن شئ سوى أنني عرفتها ذات يوم وأنت هنا تحيطين فؤادي بالدفء والحب والحنان.....

لكم أحببتني يا أمي! لا أستطيع أن أذكر تفاصيل ذلك الحب ولا جزيئاته، ولكنها معا ملأت نفسي بالرّضا وعمرتْ قلبي بالطمأنينة والأمان، لكم أحببتني عندما نسجتِ من حناياك الرهيفة إكليلا من فيض الأفئدة ورصّعتِ به جبيني فكنت أشرق بالدفء والعطاء، وأضئ بالخير والبهاء ،لكم أحببتني عندما جمعتِ باقات الياسمين والفل والرياحين ونثرت أريجها الشذى على أستار مهدي، ولكم أحببتني عندما جعلت لي من أهدابك غطاء يقيني من أعاصير الظلام ويحميني من هدير العواصف وصقيع الثلوج، لكم أحببتني ماما ولكم

أحببتـك، لقـد أحببتـك حتـى أصبحـت أصنـع بُرقعـا مـن الجفـاء كـي لا أذوب فـي خلاياك...وأضـع قناعـا مـن جـد حتـى لا أغرقـك فـي دموعي،وكنـت أيضا تفعليـن فتفتعلين القسـوة حتـى تنتشـليني مـن ضعفـي وانصهـاري فيـك وتتظاهريـن بمـا ليـس فيـك كـي تحميني منـك ومنـي....

أمي يا فيض الحنان

كلمـا زاد حسـاب عمـري زاد حنينـي إلـى روافـد الحـب التـي اغتنيـتُ منهـا فـي صبـاي، تهـف لهـا نفسـي ويحتفي بهـا فـؤادي وأستشـعر مـن جديـد عبـق الرياحيـن وشـذى الأعطـار، ، وكلمـا عرفـتُ قسـوةَ مـن حولـي وجفاءهـم شـدني ألمـي إلـى نبـع الحنـان الصافـي أجتلي فيـه طفولتي وصبـاي كـم كنـت رائعـة أمـي! كـم كنـت جميلـة أمـي، أنـا لا أقـول هـذا لأنـك أمـي، بـل لأنـك هكـذا كنـت منـذ عرفتـك وأنـت تسـطعين كفلقـة القمـر وكـم كنـت فخـورة بـك وأنـت كذلـك حتـى اغترفـتْ العيـون ضـوءك الأثيـر وامتصّـت الشـفاه أشـعتَك اللؤلؤيـة فرحلـتِ قبـل أوانـك صبيـةً فـي أوج عزهـا وقمـة شـموخها، امتصـكِ الـداء بنهـم غريـب مـا كنـت قبلـك أعـرف أن لـلأدواء ذوقـا

رفيعا في انتقاء جمال من ترتشف منه عافيته وحياته لم رحلت أمي؟ أنا أعرف أن لا جواب للسؤال الأبدي الذي يطلقه ملايين المعذبين بالرحيل ولكني أسأله لنفسي حتى أبلسم جراحي التي تأبى إلا النّزيف وآلامي التي لا أجد لها ترياقا، وكيف أجد البرء في مكان أنت جعلته قفرا برحيلك، وأقام رحيلك جنازة في قلبي وحفر قبرا في صدري وكنتِ ولازلتِ وستظلين فجيعة عمري ونكبة أيامي ،أنت ما أردتِ ترك من تحبين أمي ولا أعرفك تفعلين إنها الأقدار ومشيئة الله...وأعتقد أنك كنت تودين أن تري ثمرات الأبناء يدِبّون على الأرض كالأزاهير، الجميلة وتشبعينهم من حنانك الدافق وروائك الباسق كما كنت دائما تفعلين، لكن قدرك وقضاءنا حكم بأن لا ترينهم ولا يرونك وهم أشدُّ حاجةً إليكِ منهم، أنت يا أمي يا من علمتنا العطاء والتفاني لم نعرفْ كيف نعيش بدونهما، فكان نصيبنا كما كان نصيبكِ الذوبان من أجل الآخرين... ولم نحسن التعامل مع ماجَدّ في حياتنا منن نكبات بعدك،وافتقدنا سر وجودنا في عدم وجودك كم كنت

أودّ لـو كنـتِ أنانيـة قليـلا فعشـتِ مـن أجـلِ نفسـكِ فكنـتِ لنـا، لكنـك آثـرت أن تعيشـي للآخريـن فـكان مـا كان وهـل كان إلا مـا أراد الله أن يكـون، جميـل أمـي أن نعيـش مـن أجـل الآخريـن خاصـة إذا كانـوا يسـتحقون ذلـك! لكـن الأجمـل أن نعيـش معهـم بـكل عيوبنـا وأخطائنـا وأنانيتنـا وأحكامنـا الجائـرة. كل هـذا أحسـن مـن المعانـاة والحنيـن الأبـدي... وكلمـا زاد الإيثـار عظمـت الحسـرة واسـتطال قهـر الحنيـن...

سـنلتقي يومـا يـا أمـي سـتلتقي أرواحنـا يـا حبيبـة قلبـي ووجدانـي ويـا أنيسـة وجـدي واحتراقـي سـنلتقي فـي جنـان الخلـد بـكل الشـوق ولهيبـه وبـكل الحـب وروعتـه، بـكل الفـرح ورقصاتـه فـي الصـدور سـنلتقي بلهفـة السـابقين واللاحقيـن، بقـدرة القـادر الـذي علمنـا كيـف نصبـر ونحتسـب، فمـا أراد الله كان ويكـون ومـا لـم يـردْه لـن يكـون فليرحمنـا الله جميعـا وليرحمـك الله يـا مـن ربيتنـي صغيـرة! يـا مـن كنـت ولا تزالين ملاذي حتـى وأنت هناك فـي عليين بـإذن الله، ليرحمـك الله أمـي وليجعـل مثـواك فراديسـه العلـى بإذنـه ورحمتـه إنّـه علـي ذلـك قديـر. .

أكتوبر 2008

أمي يا كل الحياة!

لكم ينسابُ القلم عندما أريد مخاطبتك وكأنه يرشف من شلال متدفق بالكلمات اللؤلؤية فتشرع نفسي اللهفى إلى الذوبان في عدم وجودك تنسكب لتستمرئ قهر الرحيل وفجيعة الغياب،غيابك يقهرني ويحيلني إلى عتبات الانزواء والوحشة! ويطوّح بي في فراغ الفراغ ...رحيلك يا أمي نزع عني كل الأغطية وتركني في صحراء قاحلة لا أنيس فيها ولا نبات! تركني خواء في عراء العراء، تجلدني النظرات القاسية، وتسحقني الكلمات النابية.. يمتصني الغياب والفجيعة، يحرقني حر القهر ولهيب الأشواق....

أمي يا كل الحنان!

لو لم تكوني كل الحنان لما افتقدته ولم أجد له طعما بعدك أبدا... كله اختفى منذ رحلتِ ذات فجر من سنين طويلة رمتْ بلياليها القاتمة على ذاتي فما ميزتُ فيها شيئا له جدوى في حياتي القاحلة...لقد لف في كفن الإهمال المخيف وأقيمت له جنازة في

ثنايا الروح والفؤاد، وما عُرف له قبر، وما احتفى به مأتم ولا رثته كلمات وإنني بعده وبعدك أغوصُ وأغوصُ في الظلام عاما بعد عام، لحظة بعد لحظة، حتى أصبح السوادُ جزء مني وأصبحت قطعة منه لا أفارقه ولا يفارقني مهما أشرق الضياء!لأنني في عتمتي لا أتلمس له شعاعا، ولا تتلألأ له روحي التي انطفأ نورها برياح الرحيل القوية الباردة.

أمي يا كل العطاء!

يداي مملوءتان بكل النعم، يتزاحم بها الكفان وتضيق بها الأصابع والرّاحات ولكنهما مغلولتان تضيقان بثقل الخيرات تريد أن ترمي بها بعيدا فقط لتحضُنَ يديك المرتجفتين الهزيلتين وتشمَّ فيها عبق الفراديس وأطياب الجنان، تلك الأيادي الرقيقة التي لملمتِها على كياني حتى أصبح له وجود وبتلك الأنامل الرقيقة مسحت على شرائط قماطتي فجعلتها دافئة بفيض الحنان. خزائني امتلأت بما لذ وطاب وضاقت بما يبهر ويفتن ولكني سأدفع بها بعيد من أجل هنيهة أسمع فيها صوتك الأليف يلفظ اسمي، ويخاطب

قلبـي، ذلـك الاسـم الـذي لـم أعد افقه لـه معنى وذلـك القلب الـذي انطفـأ وتطايـرت ذرات رماده في هـواء الأحزان....

أمي يا كل الرجاء!

عندمـا انقطعـت بـي الأسـباب لـذتُ بمـلاذك وأنـت فـي سـدرة المنتهـى واعتكفـتُ فـي صومعـة ذكـراك أتلـو أذكاري وأبـثّ أسـراري فوجـدتُ فـي بقايـا وجـودك والذكـرى مـا لـم أجـده فـي كل مـن رجـوتُ فيهـم ولـو فتاتـا مـن أمـل! والتمسـت فيهمـا مـن الـدفء والـزاد مـا لـم ألمسـه فـي مـا اعتقدتـه حنـان الحنـان وحـب الحـب... فـي حضـورك الغائـب احتميـتُ مـن غيـاب الحاضريـن وإهمـال الأقربيـن وانشـغال الأحباء..أيتهـا القريبـة... القريبـة ... الحبيبـة.... الحبيبـة.... دائمـة الحضـور.....

أمي يا كل الحب!

أعتقـد أنـك وُجـدتِ قبـل هـذه الكلمة التـي اختارها العشـاق والمريـدون لتعبيرهـم عمـا يشـعرون، ومـع ذلـك فإنهـا تضيـق أمـام كل الحـب المترامـي فـي أطـراف الصـدر والفـؤاد فـي حنايـاك المرهفـة وتتزاحـم فـي لفظهـا وتتأرجـح رسـمها لمـا تمتلـئ بـه مـن مشـاعر وتكتـظ بـه

من أحاسيس وتضيق من معاني الوجود والحياة. هذه الكلمة الصغيرة قد تختزل الحب فلا يسعه الكون الكبير وقد تضمها الشفاه والحروف ولا تكتبه كلمات مدادها البحار والمحيطات وقد تمضي الأعمار ويفنى الوجود وحلاوتها لازالت تنتشي بها الصدور وتزغرد لها الأفئدة المعناة بالحب والبعاد....

أمي يا كل الحياة!

وكيف لا تكونين الحياة ولا حياة بدونك، وأنت أول أولها وآخرها وإكسيرها الذي أرهق الأحياء ولو لم تكوني كذلك لطمستِ نوري وأنا في الحشا وحولتني إلى قطرات نازفة، لو رغبت لأسقمتني بالجفاء حيث لا حول ولا طول ، لو رغبتِ لعدتِ إلى نفسك تنفضين عنها غبار الإهمال والنسيان ولو رغبتِ لقلتِ لا وقلت كلاّ، وقلت أبدا! ولكنك لم ترغبي لم ترغبي ياأمي إلا ما رغبته أنا، لم تألفي إلا ما اعتدته أنا... لم تأكلي سوى ما اخترتُه لم تنامي إلا بعد أن أنام، لم تحبي سواي ولم تعيشي إلا من أجلي، أما أنا فلم أشعر بالحياة سوى عندما كنت تفعلين كل هذه

الأشياء وتمدينني بعصارتها القوية التي تدفعني للمرح والانتشاء بالوجود أو لست كل الحياة أمي؟

أمي يا سر الأسرار!

كيف لا تكونين السر الأبدي الذي يغبُش الرؤيا عن كل الأسرار وأنت تبعثرين خلاياك في دمي وتنشرين شهقاتك و وزفراتك في صدري و تقنعين بالحياة في جسدي وارتشاف الهواء العليل بصدري.وتدفقين روحك راضية من أجل أن أرضي وتباركين خطوتي من هناك حيث حُجب على عيني وكُشف عن عينك وبصرها الآن حديد ولازلت أحسّ بروحك ترعاني، وابتسامتك تحميني من أذية نفسي وأذى الآخرين وحبك يقيني شر الذل واستجداء عواطف المتملقين وشراك المنتفعين....

أمي يا أنا

!فلو لم تكوني أنت أنا وأنا أنت لما كنت أتخبط في كياني فلم أعد أعرف نفسي بعد رحيلك لأنك وحدك تعرفينني فأعرفها وأتملاها فيك كل حين وحين وحينها فقط كنت أطمئن إلى وجودي وأركن إلى.

مستقبلي الذي كان مليئا بالأحلام، تلك الأحلام التي تبعثرت بين الشوق و الحنين ،وتناثرت بين الحزن والذكرى ومع ذلك فما استطعت أن أودعك بعد يا أمي كل هذه السنين ولا أستطيع أن أقول وداعا لأنك لا تزالين في خلايا دمائي وبين غمضة عين واستفاقتها يأتيني طيفك الحاني ألف مرة ومرة كي يذكرني بمأساة الغياب والفجيعة، ويعلمني بما ينتظرني من أيام عجاف تحت سلطة الرحيل القاسية المرعبة. لكنك قلتِ وداعا أمي! قلتِها بتثبيت عينيك بعيون الأحياء ويديك بأيديهم وربما أنا التي فعلتُ ودون أن أدري لأنك وكما قلتُ لك لا تزالين تحيين في كل خلية في دمائي ولازلت أستشعر حياتي من خلال سريانه في شراييني ولازال قلبي ينبض فقط لكي يهمس في كل نبضة أحبك أمي... أحبك.... أحبك....أحبك....

جيجل مارس 2008

فلسفة الحياة

لا تحجب ضوء َالقمر أصابعُ اليد وإن كانت قد تمتد إلى العيون فتفقأها .ولا يستطيع الحقود أن يحتفظ بالشمس في بيته ولا بالهواء في مخزنه ،ولن يقو على جعل النجوم من جواهره ومقتنياته، هي أشياء الحياة تتدفق بسخاء على كل المخلوقات، لكن الإنسان وحده يتمنى لو كان يستطيع أن يستأثر بها، ولحسن حظ الإنسان نفسه أن هذه الأشياء بعيدة كل البعد عن أن يُفعل بها ذلك وبعيدة عن أن تخضع لكائن من كان مهما بلغت سطوته ومهما طال جبروته، فكل الأشياء الجميلة هي ملك للجميع هي ملك للحياة، وحدها الأشياء التافهة والزائلة يستطيع الجميع امتلاكها ولو بدرجات فترى الناس يتسابقون متلهفين لاكتناز الأموال واكتساب الماديات، يملئون بها حياتهم فينشغلون بها وتشغلهم عن أنفسهم فإذا بهم وقد بدأ العمر يمضي يتساءلون في حيرة لمن يتركون هذه الأشياء؟ لأن العمر قصير مهما طال ولا أحد يستطيع قطف ما زرعه بيده،

والجنـي عـادة يكـون مـن نصيـب مـن لا يعـرف كيـف تنبـت البـذور..... وليـس للإنسـان إلا مـا سـعى وليـس لـه إلا مـا أكل فأفنـى أو لبـس فأبلـى .....ومـا بقـي هـو ملـك الآخريـن رضـي بذلـك أم لـم يـرض....

عندمـا كان الإنسـان أغلـى مـن أشـيائه التـي كانـت بسـيطة كانـت أفـكاره وتجاربـه تنقـل للأجيـال فيعتنـي بهـا ويطورهـا لمواجهـة طـوارئ الحيـاة. وكان طموحـه أن يقلـل مـن الـكل والإجهـاد الـذي يرافقـه فـي البحـث عـن لقمـة العيـش أمـا عندمـا أصبحـت الأشـياء أغلـى مـن الإنسـان لأنهـا كبـرت وتطـورت وعقـدت حاجتـه إليهـا، وتداخلـت حتـى أصبـح الإنسـان نفسـه يتسـاءل هـل هـي تسـتحق الجهـد الـذي بذلـه عبـر الأزمـان للوصـول إليهـا وهكـذا أصبـح النـاس يتقاتلـون مـن أجلهـا ويعيشـون لهـا ولا يفكـرون فـي شـئ غيرهـا أصبـح الإنسـان يختفـي فـي القصـر مستأنسـا بالجـدران يتأمـل جمالـه ورونقـه وينسـى أنـه ضـاق بالحيـاة فيـه إذ لا يـكاد

يرى لون السماء....

صـار يسـتقل السـيارة التـي قـد تزهـق روحـه بلفتـة مـن لفتـات غـروره المجنـون بأقـل تقديـر.

ولا ينثني أن يأكل من المآكل ما قد يقضي عليه في نهم غريب لا يشبه أبدا ما يطلبه منه الحرص على الحياة ، وفي كل هذا تراه مستسلما منقادا، في انقياده خدرٌ وفي استسلامه نشوة المنتصر المزهو بما في حوزته من مبيدات الحياة.

ليتنا ندرك قبل فوات الأوان أن قيمة الحياة بسيطة وفلسفتها واضحة ولعلها بدون فلسفة أصلا... وتظهر في لحظات الصفاء ورونق الألفة وبهاء الاستئناس ثم هي أيضا في لذة التعبد وحلاوة التقشف ومتعة الانتصار على نزعات النفس والهوى ونزغات الشياطين من الإنس والجان ليتنا ندرك جميعا وبعمق تفاهة الأشياء التي تشغلنا... وتنغّص علينا أيامنا فلا نضيع أعمارنا من أجلها وهي لا تستحق ومالنا هو ما أنفقنا ليس ما ادخرنا وزادنا هو ما أكلنا وليس ما خزنّا، إن القصر والسيارة والخادم لا تحقق السعادة ولا تصنعها السعادة الحقيقية تنبع من أعماق الإنسان نفسه وهي موجودة بدون شك.. وعند كل واحد منا، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها...

من أجل ذلك علينا أن نحب الحياة ونستعمل مداركنا من اجل إدراكنا وعقولنا من اجل اطمئناننا.. نحبها بقلوبنا و نعيشها بعقولنا ولا نترك منها شيئا للفراغ والأحزان والبكاء ولا نمنحها للآخرين عندما ننشغل بهم فالحياة أثمن من أن تهدى وأغلى من أن تعطى، هي أحق أن نعيشها دون أن نبحث في فلسفتها التي قد تكون في بساطتها ونحن لا ندري ولا داعي للتباطؤ والتلكؤ فالعمر لا ينتظر وهو قصير مهما طال فلنحب حياتنا كما هي ولنألفها كيفما تكون و كانت ولنفعل ذلك بلا نهاية سوى نهاية الأجل!

جيجل فيفري 2009

شظايا الانكسار

أنـا لـن أسـامحك أيهـا العنيـد المغـرور وأعـرف أن مثلـك لـن يهتـم بذلك،ولـن يطلـب مـن أحـد أن يسـامحه مهمـا بلغـتْ بـه الأمـور ووصـل بـه المـدى، لـن أسـامحك أبـدا ولا تصـدق مـا أردده علـى مسـامعك مـن كلمـات الغفـران مـرارا وتكـرارا مئـات المـرات وآلاف المـرات، فهـذا الموقـف كنـت تجبرنـي عليـه بطغيـان يدفعنـي إلـى الرضـوخ! وقـل عنـي مـا شـئت بأننـي جبانـة، وقليلـة الحيلـة،ولا أسـتطيع شـيئا فهـذا لـم يعـد مـن اهتماماتـي علـى الإطـلاق والأكثـر مـن هـذا أننـي أصبحـت فـي قيـدي أكثـر حريـة وفـي قفصـي أوسـع انفلاتـا ولـم أعـد أهتـم بحبالـك وحديـدك منـذ أن رفرفـت روحـي فـي سـماء الخلـود، أنـا تحـررت ممـا تقـول وتفعـل عندمـا أعلنـت الحـب علـى الحقـد والحسـد وقـررت أن أخـوض حربـا شـفيفة كالشـظايا المكسـورة التـي تسـيل فـي أعماقـي وتلونهـا بالأحمـر القاني،وقـد انسـلخنا أنا وأنت كما ينسـلخ عـن الليـل النهـار .وتباعدنـا بعـد المشـرق عـن المغـرب

وتضاربنا واختلفنا ككل الاختلافات والمتناقضات التي يوسعها إدراكي والتي تعتقد أنت أنه دونا وأجزم أنا أنك أحمق ومغرور وسأعلن لك الآن أنني عرفتُ ومنذ استبحت نزيفي واحتفلت بنشيجي أى نوع أنت من البشر وهكذا قطعت معك حبل النجاة لأرتمي في أمواج اليأس يتقاذفني الندم ويقلبني سوء التقدير لأنني فكرت يوما في أنك يمكن أن تشبه آخرين أو أن يشبهوك وأنني قد أكون قادرة على أن أجعل منك شخصا جديرا بالاحترام وستقهقه إذ تعتقد أنك تجاوزت مثل هذا حيث رحت تبحث عن العبادة وتقبيل اليد والانحناء أمام حضرة الصلف وجناب الغرور، وربما مالت بك نفسك السيئة وليست تلك الأمارة با لسوء إلى الاعتقاد بأنك من صنع مني شيئا كما الأحلام ومن قطع بي الفيافي إلى القصور وانشلني من الضياع إلى النور... مع أنك سللتَ من نفسي نفسها في يوم كان مقداره عمرا مما لا تعد ولا نحصي وإذ سال عمري من بين أصابعي ولم أقو على شئ ما ،فإني أعلن استسلامي وأرفع رايته

التـي لا تشـبه الرايات،لأنهـا سـوداء سـواد الليالـي التـي سـمعت أناتـي ونسيجها مطبـق علـى خيوطهـا كمـا أطبـق الهـم علـى صـدري، رايـة ليـس لهـا سـماء ترفـرف فيهـا لكنهـا نُصبـت كشـاهد علـى قلبـي الـذي دفـن فـي قبـر القهـر وأهيـل عليـه مـن تـراب الإهمـال ورُصَّ بطـوب التشـفي والشـماتة.....

لقـد قارعـتُ صخـرة العنـاد الصلبـة زمنـا طويـلا أحسـبه العمـر وأحسـبه الدهـر، دون أن أنبـش فيـه مقـدار رأس إبرة،ولـو عـاد بـي زمني إلـى الوراء لنحـرتُ فوقها آمالي وارتحلـت لا ألـوي علـى صبـر ... ، و لقـد عرفـت أن لك مـن التعذيـب صنوفـا مـازال القانـون لا يدركهـا لكـي يدونهـا فـي دسـاتيره ولازال البشـر (كل البشـر) لم يعرفوه وهـي اختـراع تسـتحق عليـه البـراءة وإبـداع تسـتحق مـن أجلـه دفتـرا فريـدا مـن نوعـه فـي سـلم (غينيـس) لتسـجيل الغرائـب والأعاجيـب والأرقام.....(الغيرقياسـية) فـلا حـدّك حـدٌّ ولا ردّكَ ردٌّ... وأنـت فـي غيـك مـاض، وبـه راض تحُيـلُ مـن أمامـك إلـى مـا يجـب أن تحـبَّ أنـت، وتحصُـره فـي زوايـا إهمالـك تضيّـق عليـه بعنـادك

وغـرورك وبمـا تملـك مـن سـطوة تصبّها عليـه كالصّاعقة فـلا يملـك سـوى الإذعـان ليـس خوفـا منـك ولكـن إشـفاقا علــى نفســه مــن الانكســار وتحولهــا إلــى شــظايا تدمــي الوجـود وتغـرق الكـون فـي مجـاري الكـره والأحقـاد مـن حسـن حظــي أننــي مــا زلــتُ أشــعر بأنــك ظالــم ولــولا ذلـك لاعتقـدتُ أننـي مـن الأمـوات، الظلـم كان شـيمتك منذ التقيتـك ذات قـدر والكبـر والغـرور مـن صفاتـك التـي لا تخطئـك أبـدا، وبـه قضيـتَ علـى عافيتـي وعلـى طموحـي وعلــى ذاتــي المتوَثِّبــة إلــى النــور.....

لـولاك يـا عاشـق الظـلام لكنتُ نفسـا تصدح فـي الملكوت القدســي بالأناشــيد الرقراقــة كمِثْــل البلابــل والهــزارات والحساسـين الجميلـة.

لـولاكَ لكنـتُ كـوردة الرمـال التـي وجـدت فـي الصحراء القاحلـة معبـدا للفـن والجمال.

لـولاك لكنـت أجمـل نبتـة فـي بسـتان المبدعيـن، ترعانـي غيــوث الســماء وتحتضننــي قلــوب الحالميــن، وحــدك الجمـاد والجمـود فـي حياتـي! وحـدك تسُـدّ منافـذ الهـواء وثقوبـه، وحـدك تسـتأثر بـكل شـيء وتفعـل مـا يحلـو لـك

وتعبث بكل ما طالته يدك الآثمة دون مراعاة لأي كان، وحدك ترفع حاجز المعاناة أمام أفكاري ومشاعري يوما بعد يوم، وسنة بعد سنة حتى أصبح من السُّمكِ والعلوّ بحيث لا تطالُه الريّاح ولا تحرقُه القنابل فما بالك بأنفاسي المحترقة بالعذابات وأصابعي المرتعشة بالندوبات وأحاسيسي المرتجفة بالإملاءات؟؟؟. ومالي أراك لازلت تعد أنفاسي وتشد علي أمراسي وقد أدميت معصمي وما أطلقت يدي لتمتد إلى ريشة قلبي أغمسها في دواة مدادها روحي وأسكبها بين الحاجب والحاجز، لعلّها تفضح ما أنت فيه من كِبْر وصَلَف وما أنا فيه من معاناة وقهر....

لقد تعودتَ مصادرة آهاتي وأفكاري وتعودت إلقاء الإملاءات واللاءات على مسامعي حتى أصبحت جزءً منها، أنا شيء مصادر أمامك تنظر إليه بلا اهتمام ثم تبتسم وكأنك تقول! ها قد قضيت عليها! أجل ! أعترف أنك قضيتَ علي وهذا ليس انتصارا ولكنه دمارٌ، دمارٌ لكل الأشياء الجميلة والرائعة التي كان من الممكن أنها ستنوّر الحياة، إنه دمار لي ولك وللحياة حين

حرّمـتَ علـى نفسـي استنشـاق عبيرها،ومنعـت فـؤادي مـن الاسـتئناس بأصـوات طيورهـا الشـادية... ولقـد مضيـتَ فـي غيـك عملاقـا ومضيـتُ فـي استسـلامي أمـة لا تـدرك للحريـة معنـى فأوثقتَ دموعـي فـي بئـر جنونـك وحبسـتَ أنفاسـي فـي قفـص أنانيتـك ورحـتَ تبعثـر أيامـي بيـن اليـأس واليـأس والقسـوة و القسـوة والعنـاد والعتـاد والغـرور و الغـرور....

أجـل لقـد قضيـتَ علـي بالجبـروت والطغيان وأنـت تعرفُ الأسـبابَ أكثـر مـن غيـرك وأكثـر منـي ولكنـك تعـرف أكثـر مـن غيـرك أيضـا أنـك قضيـتَ على نفسـك قبـل ذلك بكثيـر عندمـا اسـتمرأت لعبـة الطغيـان والتعالـي والغـرور لقـد قهـرتَ بنظراتـك القاسـية زفراتـي الكاويـه وكنـت تدمّـر ثمـارا لأيـام والليالـي بجنـون تدوسـها بأقـدام الأنانية والامبـالاة شـاهرا سـيف الحجّـاج أمـام ناظري.لكـن اعلـم يـا ذا الغـرور أن كل هـذا لـم يعـد يخيفنـي لأن الأيـام والليالـي أزاحـت غشـاوتها القاتمـة عـن عينـي وحوّلـت ظلمتهـا إلـي مرايـا كاشـفة أنظـر فيهـا إلـي صورتـك البغيظـة فـلا أملـك سـوى تكسـيرها لأنّنـي أمقـت النّظـر إليهـا فتتناثـر

شـظاياها فــي الليــل البهيــم مــع أن هــذه الشــظايا لا تصيـب سـواي ولا تضـر أحـدا غيـري ولا تجـرح إلا أنـا

جـيجل جانـفي 2008

صمت الرحيل

وهكـذا ترحليـن فـي صمـت كمـا يرحـل الجميـع، لكـن تغادريـن دون وداع، ودون بـوح، هكـذا كمـا يجرحنـا الأحبـاء برحيلهـم ترحليـن! و لكنـك لسـت مثلهم-ناديـة- لسـت مثلهـم فـي رحيلـك لأنـك لـم تكونـي مثلهـم فـي إقامتـك!كان رحيلـك لا يشـبه سـواك لأنـك مـا أشـبهت غيـرك ولا كان لمثلـك علـى حـد علمـي شـبيها، منـذ عرفتـك وأنـت متفـرّدة، شـامخة أصيلـة، صريحـة وذات عنفـوان وحضـور عجيـب ....

أنـت التـي لـم تدنسـي براءتـك بأقـذار الأنانيـة ولـم تسـدلي علـى روحـك سـتار الطمـع، أنـت لم تلبسـي ثوب الشـكوى كمـا يفعـل الناس،وكنـت تحفظيـن عـن ظهـر قلـب أن الشـكوى لغيـر الله مذلـة وكنـت فـي غنـى عـن شـماتة النـاس أو إشـفاقهم ، ظـل نجمـك سـاطعا، تعمليـن بوفـاء أو تنسـحبين بشـرف ! تنطقيـن بالصـدق أو تصمتيـن فـي كبريـاء، لا زيـف، لا نفـاق لا مداهنـة لا أحـد يسـتحق منـك ألا تكونـي أنـت،، هكـذا كنـت وهكـذا ظللـت كالقيـم

الجميلـة، كالبـراءة، كالإخـلاص، كالإيمـان ككل المعانـي الراقيـة التـي افتقدناهـا فـي أيامنـا ولياليـنـا ولـم يعـد يؤمـن بهـا أحد،لأنهـا فقـدت معناهـا وسـط الزخـم الـذي أخـرج كلمـات أخـرى سـطت عليهـا وأصبـح الشـعار هـو الجـري والقفـز علـى أي شـيئ مـن أجـل المصالـح الشـخصية والحاجـات الوقتيـة،وكل متخلـف عـن هـذا السـباق الغريـب هـو سـاذج ضعيـف وقليـل الحيلـة ولا يعـرف (كيـف يعيـش) وحـدك بقيـت تجسـدين تلـك القيـم فـي أنفـة وتثبتيـن تلـك المبـادئ باقتنـاع ومـا كنـت تدريـن أنـك تفعلين!لأنـك كنـت وجهـا لسـبيكة مـن معـدن أصيـل وحقيقـي كان نـادرا وربمـا معدومـا

نادية ! يا رمزا للوفاء

الحـزن حزيـن فـي القلـوب التـي أدماهـا الرحيـل! الحـزن لا يكفـي للتعبيـر عـن الآلام الكاويـة فـي الفـؤاد.لا زلـت أذكـر ذلـك الصفـاء فـي عيونـك الرائقة الجميلـة، ونظراتك تلـك تبعـث الرضـا والطمأنينـة، ابتسـامتك المتألقـة كانـت كإشـراقة الشـمس فـي ضحـي يـوم مـن أيـام الربيـع، كوضـاءة النجـوم واكتمـال القمـر ليلـة البـدر.. لـم تفـارق

شفيتك حتى في أحلك أيامك كما روت مآثرك، وكتبت نوادرك....

كلماتك الرائعات يا رفيقتي لا زال صداها يرن في أذني، نظراتك الصافيات لا زال بريقها يأسر قلبي ويذكرني بأيام المدرسة والزميلات والأساتذة و الأهل وكل الذكريات، تتهاطل علي من حين إلى حين! فتأخذني من حنين إلى حنين ومن شوق إلى شوق وتتحسس موضع الألم في أعماقها لكي تنكئه بأسئلتها التي لا تنتهي وأمانيها التي لا تنقضي أماني هي في حكم المستحيل مادام الزمن زمن الرحيل والوقت وقت الحزن والفجيعة...ولكم صرخت بصمت القهر والرحيل، لماذا لم تتح لنا الأقدار ذلك اللقاء الأخير الذي كنت أهفو إليه في حي الفرسان، كما كنا نلتقي دائما مذ غادرتِ ساحتنا تلك الساحة التي كفّت عن قرع أجراس أنسها وأعلنت ما كان خافيا من يأسها وبؤسها ، كنت أهفو إلى لقاء كذلك الذي كان يجمعنا فنتكلم عن كل شيء، عن علاء! عن رائد، عن أبنائك التلاميذ ! وعن الوطن يا من كنت تحبين الوطن

وتشـفقين عليـه وتتحسـرين علـى شـبابه الـذي أُجهضـت أحلامُـه واحتـرق فـي النوائـب والنـازلات وكـم كنـت أحـب سـماع رأيـك الغريـب فيهـا، كـم كنـت أهفـو لـو ألقيـت عليـك نظـرة الـوداع الأخيـرة ومـلأت ذاكرتـي مـن جـلال موتـك الـذي أعتقـد صادقـة أنـه كان الحيـاة وهـل كانـت حياتنـا تتجلـى لـولا حقيقـة المـوت والميعـاد الـذي لا يخلـف ولا ينسـى ، لهـف نفسـي علـى مأتـم لـم أكـن فيـه وجنـازة لـم أشـهدها وهـي توقـع رحيـل أول الصديقـات الصادقـات ، لهـف نفسـي علـى تربـة عشـقتها فلـم تضمـك ثراهـا فلَكَـم تمنيـتُ لـو رقـدت هاهنـا فـي مقبـرة المدينـة أمـام بيتـك القديـم تحيطـك بـركات الولـي الصالـح « سـيدي أحمـد أمقـران » وتحرسـك أرواح الأجـداد فـي المقبـرة القديمـة كـم كنـت أهفـو لـو أننـي رأيـت الأحبـة يذرفـون دمـوع الـوداع الحزينـة لفراقـك ويرفعـون أدعيـة الوفـاء لروحـك المكللـة بالجـلال كـم كنـت آمـل لـو وقفـت أمـام سـريرك لأقـرأ فـي عينيـك الطهـر والرضـا بالقضـاء، أنـت مـن آمنـتِ أن كل شـئ بقضـاء وآمنـت أنـك ستسـقين الجميـع إلـى هنـاك. ذات يـوم قلـت لـي وأنـت تبتسـمين

وقد عدنا من جنازة إحدى الأستاذات.

- لـن يمـر وقـت طويـل وسـتجدين مـن يأتـي ويخبـرك بوفـاة ناديـة.... لكـم أحزننـي قولـك هـذا أنـا التـي أعـرف شـفافيتك وصدقـك الكبير،ابتسـمتُ مرغمـة كأننـي أعـزي نفسـي ودعـوتُ لـك بطـول العمر،ومـا كنـت أدري أن هـذا العمـر لـم يكـن سـوى عاميـن لـم نلتـق خلالهمـا ولـو مـرة واحـدة.... وصدقـتِ كمـا كل مـرة وجـاء مـن يخبرنـي بالنبـأ الحزيـن وهكـذا كمـا كانـت حياتـك خاصـة وفريـدة مـن نوعهـا كان رحيلـك أيضـا، خاصـا، مفاجئـا، مدهشـا ولكنـه لا يخلـو مـن رمـز ومعنـى! .

آه يـا ناديـة لـن أقـول وداعـا لأننـي أجبـن مـن أفعـل... أمـام شـجاعتك الفريـدة مـن نوعهـا ولأننـي أخـاف مـن الـوداع فلكـم امتـلأت حياتـي بالوداعـات والتأبينـات التـي أثقلتنـي وكـم تنغصّـت أوقاتـي بالفراقـات التـي لا تنتهـي والتـي حضـرتِ الكثيـر منهـا وكنـت نعـم المعيـن وأنـا الآن لـم أعـد أقـوى علـى النظـر إلـى مـكان جمعنـا معـا ولـم أعـد أسـتطيع المـرور فـي الشـارع الـذي تنتصـب فيـه مدرسـتنا بجـلال ولـم أعـد أمـر أمـام عمـارة بيتـك ولا

أمـام مـكان عملنـا فيـه معـا أو التقينـا فيه،ولـم تعـد ذاكرتـي تقـدر علـى اسـترجاع صورتـك البهيـة إلا وهـي تنـزف فـي ذاكرتهـا بقايـا الحنيـن و تسـتدني لأشـواقها حضـورك الغائـب بكثيـر مـن الألـم و الاحتـراق الأزلـي الـذي يلهبـه صمـت الرحيـل أمـا قدرتـي علـى مخاطبتـك فإنهـا مـن عمـق الحـزن والأسـى لا مـن غيرهمـا وجرحـك يدمـي فـؤادي ويتزاحـم مـع جراحـي التـي لا تنتهـي إلا لتبـدأ وقبـل أن تبـرأ تُنـكأ برحيـل آخـر ... ومـع ذلـك يـا ناديـة فإننـي سـوف أنبعـث مـن رمـادي واحتراقـي فـي هـذا الصمـت لأقـول لروحـك المرفرفـة فـي الخلـود وبـكل وفـاء بأنـك لا تزاليـن هنـا فـي قلـب الصمـت والرحيـل معـا ..وأنـك سـتظلين وكمـا الأشـياء الجميلـة لا تفقـد بريقهـا وإن غابـت فـي التـراب.

ماي 2006

أنا وأنت

أنـا وأنـت علـى طرفـي نقيـض، وليـس هنـاك مـا يجمعنـا إلا ليفرقنـا ولا يضمنـا معـا إلا ليصـرخ باختلافنـا وتباعدنا وقـد أكـون مخطئـة وأنـتَ علـى صـواب، إلا أننـي أعلـنُ أننـي قـررت أن أصـرخ باختلافـي عنـك وأنـادي بابتعـاد طريقـي عـن نهجـك الـذي أراه التـوى بعيـدا ، فأنـا اعتـدتُ حتـى وأنـا فـي هـذا العمـر أن أحتضـن عرائسـي فـي مخيلتـي ولا أغمـض عينـاي إلا وهـي تتفيـأ أحضانـي فتجـد منـي مـا يجـد الوليـد مـن حضـن والدتـه وأجـد منهـا مـا تجـد الأم فـي حدبهـا علـى فلـدة كبدهـا ولا أتخيـلُّ نفسـي أتركهـا لأنهـا أصبحـت جـزء منـي وأصبحـتُ جـزءً منهـا ولا أعـرف نفسـي إلا وهـي فـي أحضـان أستشـعر دفئهـا الشـبيه بالحيـاة، أمـا أنـتَ فتنظـر إلـى تلـك العرائـس مـن أعلـى كتفيـك وتسـد مناخـرك بأصابعـك لأنـك تكـره رائحـة الصـوف والقمـاش وخاصـة إذا كان هـذا القمـاش قديمـا وتلـك الصـوف موروثـة مـن أفرشـة الغابريـن لأنـك مولـع بالجديـد ومغـرم بالغريـب ولا

ترضـى بغيرهمـا بديـلا. أنـا عندمـا كنـت يافعـة اختفيـت وراء سـتار التقـوى والتحفـتُ بحجـاب التخفّـي حتـى لا تنهشـني العيـون المتلصّصـة فتخـدش حيائـي وتعَـرّي بهائـي ومـا أدّعـي الزّهـد أو الفضيلـة ومـا أعلـن النسـك والرهبنـة إلا أننـي كنـت أفعـل مـا يفعـل النـاس ويرونـه صوابـا مـادام لا يؤذينـي ولا غيـري،و أتماهـى فيهـم ولا أختلـف معهـم لأنـي أكـره أن يشـار إلـي بمـا أكـره،أو يميزنـي مـا أحتقـر .أمـا أنـت فحيـن كنـت مجللا بالشـباب أهرقـتَ مـاءه فـي أخاديـد العصيـان وأطفـأتَ جذوتـه بمياه الرذيلـة الآسـنة ومـا سـألت عـن تقـوى ومـا نظـرت إلـى صلاح،وأنـا أعلـن انحرافـك ولا أرجـع إلـى وراء. لأنـي لا أزيـدك ولا أزايـد عليـك وأحسـب أننـي أتخبـط فـي سـوء تقديـر لمـا أنـت فيـه مـن حال لا تسـرني ولا أحسـيها تضرك،فمـا همـك مـذ أعرفـك وعرفتـك سـوى جـوارك لأنـاك واسـتوثاقك بعروتـك التـي أرخيـت وثاقهـا وفككـت ألغازهـا فبانـت كالعاريـة مـن أوراقهـا الضاربـة فـي أوسـانها الممتـدة فـي العـري والخلاعـة . وأنـا عندمـا كلـل الشـيب رأسـي لففـتُ عليـه بـرد الأنسـاك وشـددتُ عليـه

بـإزار الصالحيـن ومسـوح الرهبـان، وحبسـت نفسـي فـي صومعـة أفكاري أتلـو على سـجادة عمـري بقيـة أذكاري، أمـا أنـت فحيـن جلـل البيـاض سـواد الشـباب رُحـت تختفي فـي خبايـا الحسـبان وتسـتعذب الثمـار المحرّمـة تقطفُهـا مـن جنـان الغافليـن وتطفـئ لظـى الخيانـة بجمـر الخـداع وتنغمـس فـي قـذى الأشـياء والأعمـال نظراتـك غـشٌّ ولُصوصيّـة لفتاتـك سـرقةٌ واختـلاس، تدّعـي مـا ليـس مـن صفاتـك وتتحـدث عمـا لسـت فيـه مـن شـمائل وتطلـق لسـانك ينوبـك فـي الفضـل ومـا هـو مـن خصالـك وليـدك تسـعفك بالجـود ومـا أنـت مـن أهلـه ، جلوسـك بيـن الكبـار معـرّة للكبـار وبيـن الصغـار مذلة لهـم، واختفـاؤك مريبٌ، وظهـورك عجيـبٌ، تتطـاول حيـث يتواضـع الأكرمـون وتتواضـع حيـث يكثـر الأذلاء ، ألا خسـئت وخسـئ هـؤلاء الذيـن أنـت منهـم فـي العالميـن. أنـا لا زلـت هنـا أفتـرش الأرض، وألتحـف السـماء أقتـات مـن فتـات النعـم وأتدثـر بأسـتار الحيـاء والعفـة وأنـا آمـل فيمـا عنـد رب العـرش مـن الأرائـك عنـد سـدرة المنتهـى ومـا فـي جنانـه مـن القطـوف والأثمـار ومـا فـي فراديسـه مـن الأمانـي

والأسرار، أما أنت فلا زلت تضيئ المصابيح الملونة وتستدني الأطياف البراقة وتنقب عن أطقم من ذهب أو جلود أو أقمشة ملونة زاهية، وأنت ما زلت ترتدي ثيابا تجذبك علاماتها المميزة في نظرك، المزيفة في نظري تزهو بها على أقرانك كالديك المنفوش ريشه وأنت لا تعرف من القطوف إلا ماتقطفه بيمينك دون استئذان ولكن بعيدا عن عرش الرحمن... أنا لا زلت حين أخطئ ألوذ بحصن المغفرة وأحتمي تحت وابل الأذكار والتسابيح لعلِّي أغسل هفواتي الصغيرة بماء التوبة... لكنك حين تخطئ تركب صهوة الغرور وتتمادى في إظهار المعاصي والخطايا وتحاول تغيير سماتها الظاهرة للعيان إلى أسماء تخفيها في نظرك فإذا بك تكشفها لأنها لا تخفى على المعتمين فما بالك بذوي الأبصار... أنا لا زلت نفسا مطمئنة ترجع إلى ربها راضية مرضية متى قضى بذلك ذو القوة المتين وأنت الآن تظن أنك ذو القوة، قوة تحيل بينك وبين القضاء وتبعد عنك ما قضاه بغيرك لأنك تعتقد أنك لستَ مثلهم وأنت بغرورك تعتقد أن ليس هناك من يد

تطالـك ولا قـدرة تسـتدني خبايـاك وتكشـفُها ذلـك لأنـك عُجنـتَ بطيـن الخطيئـة ونضجـتَ علـى مواقـد المعصيـة فمـا ذاقـت بقايـاك شـيئا مـن بقايـا الأوبـة والاعتصـام ، ومـا عـرف منـك سـوى رخـص التـراب وحقـارة الطيـن فـلا شـئ يدنينـي منـك ولا شـئ يقربـك منـي وأنـا وأنـت كالليـل والنهـار لا يلتقيـان أبـدا وكالنـور والظـلام لا أحـد منهمـا يتماهـى فـي الآخـر أو يسـتخلفه مـع أنهمـا يتتابعـان وأنــت تــدرك أنــه لا الليــل يســبق النهــار ولا الشــمس ستدرك القمـر وأنـه جميعـا فـي فلـك يسـبحون.

أيتها المتعالي....

ثـق أننــي لـم أكـره فـي حياتـي شـيئا أكثـر مـن مقتـي لهـذه الخصلـة الذميمـة فـي نظـري والمهمـة فـي نظـرك تتفيهـق بهـا علـى أترابـك وعلـى العالميـن، وتترفـع بهـا علـى مـن أنـت دونـا عنهـم وأنـت لا تـدرك فأنـت بجهلـك تفحـم العلمـاء لأنـك لا تسـمع سـواك...ولا تفهـم غيـرك... وإذ لـم أسـتطع إقناعـك ولـن تقـدر علـى الوصولـي إلـى أســراري فإنــي ســأتركك لنفســك ولأفـكارك المجنونــة تدمـر بهـا الوجـود وتسـئ بهـا إلـى نفسـك والحيـاة فـردد

وحـدك صـداك وصوتـك معـا فـلا أسـتطيع بعـد الآن أن أجبـر نفسـي علـى تحميلهـا مـالا تطيـق بسـماعك....وما عـدت أقـوى عـل شـد ابتسـامتي البلهـاء علـى شـفتي وأنـا أرجـوك أن تبتعـد عـن طريقـي المملـوء بالأشـواك فأنـا وكمـا تعـرف أخشـى مـا أخشـاه الغـرور وأكـره مـا أكـره الكبـر و المحدثـات وأنـا أقنـع أن أعيـش علـى عبـق الماضـي و أقتـات مـن عبيـر الذكريـات.

شذى عمري

منذ البداية مددتُ يدي البراءة وعليها تيجان الصّفاء آ ملة الاّ تُقابل بأنصال الغدر، وسهام التّربص وأردتُ أن أقيم في عشّ الإخلاص، بعيدا عن عرائن الافتراس فقبعتُ في بيت الطاعة محاطةً بثمار المحبة، واستكنتُ وراء رماد التحدّي، أنفخ جمره المنطفئ لعل الحياة تدب فيه من جديد، ولعل ناره التي ألهبت صدري تشد أصري وتصلح أمري وتحل ما التوى من لساني وتلعثم من كلامي أمام أصوات كالهدير وأوامر كالقدر القاسي،ونواهي ما أنُزل سلطانها، ولا عرف بيانها... وكنت أقدّم ولاء الواجبات ورضاها وشمائل الطاعات وقضاها بينما أجمع الشظايا في ذاتي المنكسرة وألملم الجراحات المتبعثرة في قناتي الدامية وأحيط عنق الإحباط بذراعي الخيبة والفشل ... وعندما كنت أستيقظ من خيبتي المريرة وأجنحتي كسيرة كنت أنفش ريش الطاووس وأعاود الكرة لعلّ الأبواب لا توصد في وجه براءتي ويقيني..... وكان

يفتر سنيّ عن بسمة الهزيمة بينما تستمع الرّوح إلى الفؤاد المتلظي يَدمي الحنايا ويدمي.... وإلي العمر المتشظي الذي بات يذوي ويذوي.

وإلى الأنهار من دموعي تجري وتجري وإلى أنفاسي تتحشرج في صدري..وما كنت أفعل شيئا إذما كنت أدري أني ما كنت أدري....

أنا أردت أن تكون أعراشي من أوراق الشجر لا يستبيح سرها سوى طيور البراري،ولا تستدني أقصاها سوى أسراب الفراشات الزاهية الألوان ولا تمتص رحيقها الصافي غير الملكات من النّحل لتصنع منه أكسير الحياة والخلود وأردت الترصيص بوشائج الوفاء والبناء بلبِن الإخلاص والإعلاء بجذوع من محبة عصية على الإدراك ماضية في التميز موغلة في الاختلاف، ثابتة على الإحكام،وغارقة في لذيذ الأحلام .واعتقدت أنني لم أدعُ ثقوبا للدخلاء، ولا شقوقا للباحثين عن العثرات، المقتنصين للهفوات،حتى لا يستبيحون سري وقد يهدمون بنياني وعرق البنّاء لم يجف بعد.

لم أسمح لأي كان أن يستبيح قدس أقداسي أو يضع

قدميه في محراب زهدي،ولا أن يقتبس من أدعيتي، أو يحفظ شيئا من أذكاري ولكم رسمتُ أن أكون برعما يتفتق عن ذكر عليّ وورد بهيّ وأريج شذي، يعطّر المجالس بشذاه ويفتح عليه منافذ النور والبهاء، ولكم أردت ألا أكون كما أخرى وألا تكون كما آخر لأنن أحب التفرد وأعشق الاختلاف وسعيتُ إليهما حثيثا منذ أحسست الوعي والإدراك....وكان مستوى حلمي لا تسعه بحار أفكاري المتلاطمة منذ وعيتُ ومدى أفقي لا تحدّه رياض أسراري التي أخفيت والتي كانت علية سقوفها دانية قطوفها ريانة رائقة ترقص على تصفيقات النجوم المتلألئة وتتمايل على أنغام العذب من سواقي الجمال وأنهار الفتنة التي لا تشبه ما في الأرض ولا تتنازل عن الحلم بما في السماء...

كم من خَطْبٍ رأيته مدلهما يريد أن يحيطني بمخالب الانحدار وزيف الانبهار، وكاد أن يزلزل بنياني وأن يعلي فوق ركامه أحزاني، فرحتُ أهمس في أذن الأقدار بآيات التقوى والمعوّذات وركنتُ إلى جدار الأمان فما طالني خدر الصدمات ،وما عُزلتُ في

زوايا السكوت، وجعلتُ من العثرات سلالم أوصلتني حيث المشتهى من الأمنيات، وحينها فقط تساءلت أيكون العمر قد ولى كفلاة جذباء ليس فيها ولو شذرات من حلفاء وجاءني الجواب...

جواب قد لا يكون من الوضوح أن يفحم ما وصلني من أذى ولا أن يُرضي ما لحق بي من نكد و أسى ، وما تقاذفني من كيد و نصب واحتيال ليس كأمثالها شيئ لأنها جرفتْ مشاعري في مستنقعات الوشاية والغواية وطافت بها في أخاديد النميمة والرذيلة، وكان أن استُنزفتُ وأصبحت خواء واستُفْرغتُ وصرت هواء إلا أن الجواب الذي حضرني بلسم بالصبر جروحي ونثر ترياقه على قروحي وأدركت ألا عذاب بلا ثواب فكان جوابي لنفسي بلى إن في العمر ومضات كالبريق هو من الصّفاء بحيث لا تطاله الغيوم مهما تكاثفت أو اسودّ لونها،ولا يدركه السواد ولو استشري في الروح والجسد والفؤاد....

بلى إنّ في العمر ورودا توصل شذاها إلى صدري وتنثر رحيقها في ذاتي وأنا أجمعها باقات تسرّ

الناظريـن، وتبهـر الحاضرين، وعطرهـا مميز وفريد لأنه معتصـر مـن حنايـا الفؤاد ومتدفق من بؤبـؤ العين،ومنطلق مـن مسـتقر الـروح ومنتهاهـا الخفـي عـن كل مخلـوق.. بلـى إن فـي العمـر أسـرارا زاد مـن غموضهـا الصمـت والكتمـان وشـد علـى لغزهـا الـود الإحسـان فاسـتقرت فـي الملكـوت لا تبـوح بسـرها سـوى للريـاح ولا تكشـف عـن غموضها إلا للغيوم السابحة في الفضاء ولا تلتفت إلى وراء .
بلــى إن فــي العمــر أوتــارا شــدت علــى آلات الزمــن بدقـة وإحـكام وفـي العمـر ذكـرى وأوراد صافيـة تضمـد القــروح وتبلســم الجراح،وتمســح علــى شــغاف النفــس بتـؤدة ومـودة وحنـان وأنـا قنعـتُ بمـا أتـاح لـي الزمـن واسـتغنيتُ عـن الوجـود بالموجـود واختصـرتُ عمـري فــي السّــر والوميـض وعطرتــه بالــورود والأوراد .

تحت الرماد

لم يخطر ببالي أبدا أنني سأكون كالأخريات ولا فكرتُ أنني لن أختلف عن كثيرات ، خذلهن الدهر وتلاعب بهن الزمن وطوّح بهن في مهب الحزن والأسى،لا لأنني مختلفة فحسب، بل لأنني عقدتُ العزم على أن أبلسم كل الجراح ببلسم الأمانة، وهي التي عرضت على الجبال فلم تقدر عليها وقبلها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، وقررت أن أحذف من قاموسي كل المعاني التي لا تنتمي للجمال والنور واعتقدت خطأ أن سلامة الطوية تقضي على الشر في طوايا الآخرين،وفضلت السذاجة التي قد تكون بلَها على الذكاء الذي لا يختلف عن الدهاء والحيلة ....

وهكذا كنت في الموعد عندما أراد القدر لي تلك الحياة القاسية المملوءة بالفجوات السوداء والعثرات القاتلة فجوات سربلت أيامي بثقوبها السوداء الكريهة وعثرات أسقمَتْها بسقطاتها المريعة، ولقد اقتُلعت من تلك الأحضان الدافئة، وليالي السمر الجميلة بين الأحبة

ورميتُ وسط صحراء قاحلة حيث الأحجار الصماء والتماثيل البلهاء التي لا تبصر ولا ترى ولا تحس ولا تعي إلا بقدر ما تسيء وتكيد وتنتقد... صحراء استف قلبي رمالها سفا واحترق في أتون حرّها بلا ذرة من رحمة ولا رجفة من ضمير... و ربما أراد الله بي خيرا حين أعمى بصري عن الخديعة كل هذا الزمن ولم يلق على عيني قميص يوسف حتى أرى كيد الآخرين، وهل كنت لا أرى كيدهم وخديعتهم؟؟ بلى ولكن القلب الذي تطهر بالإيمان وحسن النوايا كان في منأى من أن تلوثه هذه القذرات فعمى وأصم واحتمل الزبد الذي لم يذهب جفاءً بل مكث في القلب يعلّه ويدميه بأشواكه المسنونة بكل أنواع الآلام والعذابات ويذيقه من السم ما لم يستطع استساغه ومن الهم ما لم يقدر على ابتلاعه ولقد استسلمت للوهن الذي فت عظمي ونخر ذاتي ولم أقدر على الانبعاث إلا بعد جهد أضناني وكدّ أعماني ولقد كاد الدهر أن يطمرني في حفرة الشوك واليأس وقرب العمر أن يميل بي نحو الخضوع والاستسلام ،إلا أنني بحثتُ طويلا

فـي هـذه المسـاحات المظلمـة مـن قلبـي فانبجـس بصيـص نـور رأتـه النفـس وبسـمت لـه العيـون واحتضنـه الصـدر فلـم يبـد علـى المحيـا سـواد المآسـي المدفونـة فـي أعمـاق الفـؤاد لأن الحـزن فـي عـرف الجهلـة مـن الممنوعـات، ليـس الحـزن وحـده مـن الممنوعـات بـل أيضـا أشـياء كثيـرة :الأصـوات، النظـرات، الضحـكات، كلهـا مـن الممنوعـات ! المنـع ليـس بالقوانيـن ولا بالأعـرف ولا بـا لشـرع والأوقاف،بـل بشـرع الحسـد والضغينـة وبقانـون الحقـد الأعمـى وعـرف الغيـرة الرعنـاء ..... فـي حياتـي المتعبـة خبـرتُ نظـرات العيـون التـي طمسـتها الغيـرة فلـم تعـرف كيـف تـرى نظـرات الشـوق فـي عيـون المحبينـولا تحـس بتسـارع أنفاسـهم وارتعاشـة قلوبهـم المليئـة بالبـراءة والانعتـاق وعرفـت القلـوب الغلـف التـي ران عليهـا الجفـاء فلـم تعـد تستشـف الحنيـن فـي الأفئـدة المتيمـة الولهـى بلهـف السـنين، وتلـك المغمـورة بالحـب والخير،المتعلقـة بالنـور والصفـاء وكان كل همّهـا البحـث عـن المكائـد وانتقـاء مـا تشـيطن منهـا لتشـبك الغافليـن مـن البشـر الهانئيـن بالسـذاجة والعافيـة، هـؤلاء الغافلـون

لـم يكونـوا كذلـك لـولا التربـص والكيـد والأحقـاد.....
ولا تعـرف الأشـياء إلا بأضدادهـا ولا الأشـخاص إلا بغرمائهم،وهـل كنـا سـنعرف الطيـب مـن النـاس لـولا خبيثهـم؟؟

لقـد عانيـت كثيـرا فـي فلـوات الأحقـاد حيـث لا مـاء ولا شـجر إنمـا أوهـاج وحرائـق ألهبـت جلـدي وأطفـأت النـور فـي عيني،وأقرحتنـي وجرحتنـي ولسـت أدري إن كانـت الصحـراء قـد سـمعت أناتـي وآهاتـي وردد صداهـا شـهقاتي وزفراتـي أم أن الصقيـع لـفّ الأجسـاد ببـرودة الغيـرة، وحنطهـا بجليـد القسـوة، لـم يتـرك منفـذا لضـوء الشـمس وأشـعتها،فما رأت غيـر تلـك البـرودة السـامة ومـا ألفـت غيـر تلـك القسـوة البـاردة أنـا لـم اعـد أفهـم نفسـي كمـا لـم يعـد أحـد يفهمنـي،و لقـد حاولـت أن أدخـل فـي صفـوف الآخريـن فمـا وجـدت ثقبـا يتسـع لرغبتـي فـي الفـرار وأردت أن أتفـرد بقهـري فمـا فلحـت فـي هـذا القـرار لذلـك سـأبقى وحيـدة منزويـة فـي سـماء الأحـلام أسـتمع إلـى أشـعار الحالميـن وقصائدهـم الجميلة، وأتسـلى بمـا فـي الجـو مـن عطـر البسـاتين والرياض،وأسـتمتع بمـا أسـمع مـن تغاريـد طيـور البراري،وموسـيقى الحفيف

فــي الأشــجار والخريــر فــي الســواقي والأنهــار رغــم أننــي كنــت ولازلــت أخبــو وأخبــو كجمــرة لــم تجــد شــيئا تنضــوي تحتــه حتــى الرمــاد .

مرافيء الأمل

على مهلك أيتها الأم المفجوعة في فلذة الكبد والروح ما لذي أطلق عقالك فنفرت لا تلوين على بقاء ومن الذي فك قيد لسانك فما كففت بعد عن الأنين؟؟ .لمَ تسرحين في الملكوت وحدك؟ وتريدين الاستئثار بكل الأسرار ؟ وأنت تعرفين أنه لو كانت تُطال لما كانت أسرارا وتحلقين في الجو بمفردك ولا تريدين أنيسا سوى(أنيس الروح1).انصهرتْ روحك مع غيابه المفجع وتماهت مع حضوره الذي استوطن ذاتك وكلماتك وسيطر على كل مساحات الإبداع فيها رغم عمقها و شساعتها على مهلك سيدتي وتأكدي أن في هذه الفانية تنحصر حدود الاكتشاف فيما تراه الأعين وتسمعه الآذان و تلذّه الأنفس، وهذا هو الفناء بعينه فبعد حين قد يعدّ دهرا أو شهرا تنسلّ شرارة الروح فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولاشيء خطر ببال بشر فأين تذهب الروح بسرها الأبدي يا ترى ؟ولماذا تحترق القلوب وتذوب في الغياب والسؤال؟؟

يا سيّدة الأحزان

لا تطلبي قضاءك فإنه كان قد خطّه القضاء وأنت تعرفين أن لا مرد لقضاء،وأنت وقفتِ أمامه بجلال وشموخ نادريْن قلّ أن نجد مثلهما في أم لا تشبه الأمهات مثلك، أمٌّ اعتكفت في خباء الإبداع لتنسج من الموت دثارا يقي من الحزن والفجيعة وتصنع من نكبتها إكليلا من الصبر والجلد تتزين به الثكالى...

في خبائك الملئ بكنوز الكلمات التي لا مثيل لها رحتِ تجبرينني على التماس كلمات أخرى يجب أن تكون أكثر تأثيرا وجمالا إلا أنني أعترف أمامك يا سيدة الكلمات أنني أعجز عن انتقائها لا لعجز اللغة ولكن لجلال الخطب، وعظم المصيبة .

لقد أحطت نفسك بكل كلمات الأنين والألم ونسجت في أعطافك بها غلائل الشجن ولم تتركي لغيرك شيئا يتعبد به في محراب أحزانك...أو يستطيع دق أبواب صومعتها، ومع ذلك فإنني أستصرخك بما بقي منها أن تضعي للحزن عتبة تقفين عند حدها ولا تغلقي أبوابك على مأساتك فهناك من يقاسمك إياها ولا تطلبي

الموت أيتها الحزينة انتظري حتى تري ,, أنيس ,,في حنايا كل الأمهات وتأكدي يا سيدتي أنه لم يعد ابنك وحدك لقد صار,, أنيس الروح,,(ابن الفيوضات)* المنبجسة من أعماق الأنين صار (ابن البوح الأخير*) والأول وأصبح (اشراقات في الروح *)صار أنيس هذه الجواهر المتلألئة في سواد الروح المتناثرة فوق قصاصات قُدت من الوجع في زمن للبوح الموجع لا تقرأ إلا في الأماسي الحزينة فينبهر بها الوجدان ويسرح في بحر الأحزان المتلاطم بأمواج السواد حيث لا زورق ولا شراع... .

في قلوب الحزانى يعيش أنيس ملاكا يرفل في الخُلْدِ و النعيم ,تزغرد الحناجر على نعش صباه وتدق الأجراس لمأتمه المهيب.....

يا سيدة الأحزان

ليستْ لدي قدرة التجلي ولا أطلب منك الكف عن الأحزان لكني أحيلك إلي تقوى الروح بإطلاقها في فضاءات الأكوان حيث تلتقي كل الثكالى تحترق أرواحهن العليلة في صمت رهيب وتفيض عبونهن دمعا سخبا

يحـرق عبيـر الـروح ويطفـئ جذوتهـا ,وهنـاك وحـدك بينهـن تتألقيـن بروحـك النورانيـة الشـفافة التـي لـم يطفئهـا الدمـع لأنهـا حولتـه بقـدرة عجيبـة وخارقـة إلـي كـمٍّ مـن الألـق فاسـتنارت بـه فـي مرافـيء الأمـل دون أن تـدري رغـم أنـك تسـمينها (مرافـيء اليـأس*)

توضيح: أنيس الروح1: كتاب للكاتبة جميلة زنير

*** عناوين لنصوص في كتاب أنيس الروح لنفس الكاتبة

يوم 3سبتمبر 2008

جميلة الوجع الإبداع

سيدتي

في مرآتك * شاهدت ما تكابدين ومن كلامك أحسست ما تألمين له وتقاسين

مرآتك الضريرة ألقت بضبابيتها على التفاصيل الموجعة في تلك الطفولة التي لا مردّ لها من سبيل ,تلك الطفولة القاسية في مدينة الأحقاد هذه التي تحاصر المشاعر وتكتم الأنفاس لقد ألفتْ هذه المدينة النفاق وممارسة الرقابة علي الآخرين وخاصة الأخريات وألفت قولبتهن في قوالبها الضيقة والخاطئة رغم أنها تصر على أنها في قمة التحضر والانطلاق مدينة ألفتْ الازدواج والكيل بمكاييل عديدة حسب الظروف والأشخاص ومع ذلك فهي مدينة تنغرز في ثنايا الذاكرة ولا تتزحزح قيد أنملة وتحتل جيوب الفؤاد ولا تريم عنه أبدا.

هناك في الماضي الذي لم يكن بعيدا رحتِ تستحضرين صورة الجدة التي لم تكن رمزا للحنان

كمـا ألفنـا بـل كانـت « أمنـا الغولـة» التـي حوّلـتْ أيـام الصِّبـا إلـي نـار وجحيـم

جـدة ليـس لهـا مـن الجـدّة سـوى القـدر الـذي جعلهـا كذلـك جعلـتْ مـن نفسـها سـاحرة تعبـثُ بأبخرتهـا وتمائمهـا الغريبـة تلقـي بهـا بيـن قدميـك الصغيرتيـن تتعثـران فيهـا فتقفيـن عنـد عتبـة القهـر والظلـم تبحثيـن فـي حنايـاك عـن عنـوان لمـا يحصـل وبـاب منـه تهربيـن،

الأبـواب توصدهـا الجـدة القاسـية و يركنهـا الأب برتـاج الاهمـال والقسـوة أب لازال ابنـا يألـف الأمـر والنهـي والاستسـلام أب تماهـى فـي ذات والدتـه الفاسـية ولـم يعـد يتصـرف إلا كمـا تقـرر وتريـد لهـف نفسـي علـى تلـك الأيـام تأسـرك بسـقم الذكريـات مـع ذلـك الأب وتلـك الجدة التـي ليـس لهـا مـن الجـدة سـوى الاسـم وتهتـز نفسـي وأنـا ألتقـط بروحـي سـيل الـكلام الجـارح الـذي ينطلـق مـن فمهابإصـرار كمـا أستشـعر ذلـك الجـو المشـحون الـذي أُرغمـتِ علـى معايشـته دون اختيـار .... وأتحسّـس أي قـدر بائـس رسـم ليالـي الطفولـة وهنـدس نهاراتهـا المليئـة بالعذابـات...

هي هكذا النفوس القاسية تصنعُ النفوس الحانية الرقيقة .. هـي هكـذا المعانـاة تنقـي الأرواح وتصفّيهـا لكـي ترفـرف بهـا فـي سـماء الإبـداع و الخلـود... وهكذا هي الدنيا تقسـو علينـا بشـيء مـن الحنـان. فالجـدة فـي مرآتـك الضريـرة خلقـت بجفائهـا روح الحيـاة فـي نفسـك البريئـة فانطلقـتْ تحلّـق فـي كل سـماء تنظـر إلـى الشـمس وإلـى الأجـواء الفسـيحة وتبسـم للريـاح حيـن تحـط لتسـتريح لكنهـا أبـدا لا ترجـع إلـى وراء ..وهنـاك فـي عليائهـا الممتنعـة تمـوج الذكريـات المريـرة فـي أعماقهـا والتـي اعتقـدتِ فـي يـوم مـا أنهـا لـن تنتهـي... هاهـي قـد انتهـت يـا جميلـة رغـم مـا خلّفتـه بـرودة الـدروب فـي أقدامـك الحافيـة... هاأنـت قـد أكملـت المسـيرة بقلـب مـن حديـد إلـى أن وطـأت البسـاط الأحمـر يتلـك الأقـدام الداميـة....

لهـف نفسـي عليـك يـا جميلـة وأنـت تقفيـن فـي مفتـرق الـدروب وعند(بـاب الصـور) وتتسـاءلين هـل أذهـب إلـى البيـت الكبيـر أو مدرسـة الحيـاة أم أذهـب إلـى مقبـرة المدينـة أو المرسـى؟ زوايـا أربـع انتصبـت فـي أعماقـك تألفهـا وتألفـك ولا ترضيـن عنهـا بديـلا لذكـرى مهمـا كانـت جميلـة أو أثيـرة...

قد كان يرقد الأجداد بقدسية في»سيدي احمد أمقران» لو لم تكن هناك تلك الجدة التي لازلت تحبينها لأنها ودون أن تدري جعلت منك ومنذ ذلك الحين تقفين في محطة الإبداع تنتظرين الشموس والأقمار التي كانت منك على مرمى حجر إنها الحقيقة التي لا تجهلين يا جميلة....
انثري سيدتي الورود على قبر الجدة العجوز ورتلي الفاتحة على روح الوالد الراحل أما تلك الأم المفجوعة فادعي لها الله أن تحبر في روضة الحنان مع الحبيب أنيس...
سيدتي هل من الوجع وجع وهل الوجع من الذكرى أم الذكرى من الوجع ؟
لست أدري لكني على يقين أن من الوجع إبداع .

توضيح

المرايا الضريرة: نص لجميلةزنير
سيدي أجمد أمقران ولي صالح أخذت المقبرة القديمة في جيجل اسمه

ظلال الحقيقة

ودائما حزينة يا سيدتي تألمين وتثيرين في النفوس كوامن الشجن، تبحثين عن مزيد من الكلمات التي تصنع مأساتك وترسمها بمزيد من الفجيعة والألم الذي لا يوصف. الكلمات صارت حبلى بالصمت ملتفة بالأسى والوجع.... منذ النكبة وأنت تلتفين بما اسود من معانيها وغار في الصدر من ألفاظها، ألفاظ تغوص نواصلها الحادة في مكامن الجراح لترش عليها ملح المعاناة التي لا تنتهي وتنثر عليها وساوس الذكرى المريرة التي لا تهدا.....

آه يا جميلة

كم تعذبينني بتلك الآهات التي تكتبين وتلك الزفرات التي تلفظين وكم تعودين بي إلى زمن الصبا وإلى مدرسة الحياة... إلى تلك الأيام الجميلة في وسط المدينة القديمة والصمت يسمعنا أنفاس الجيران فما بالك بحديثهم؟ صمتُ كان يقول كل شئ عن أيامنا المليئة بالرضا والحب ورائحة (السردين) التي لا تغادر مسرح ذاكرتنا القصيرة والطويلة لتصنع من

حنيننا إليها كل أحزاننا وتحجب عنا أي نوع من الفرح
هـل تذكريـن أنـك فرحـتِ بعمـق منـذ غـادرت مدينتـك الأثيـرة؟؟ هـل تذكريـن أنـك نظـرت إلـى غيرها؟؟لـن تسـمح لـك جيجـل بذلـك ولـن تسـمح لأحـد مـن أبنائهـا كـي يفعـل . مدينـة أنانيـة تستأثر بالحـب والفرح وتسيطر علـى الذكريـات ؟ اسـألي روحـك التـي غارت فـي غياهب الأحـزان وراحـت تنهـل مـن ينابيع الإبداع التـي لا تنضب تريديـن غسـل أدران الزمـن فـلا تجديـن سـوي مزيـد مـن الجـروح وتنسـاب كلماتـك المملـوءة بالآهـات واللوعـات الحـرّى تدمـي شـغاف القلـب المرهـف بالأنيـن والحنيـن..
لـم تحركيـن الجمـرات سيدتي وتنفخيـن في رماد الأسـى؟
إنـه ومهمـا فعلـتِ لـن تعـود الأنـوار ولـن تطلـع الأقمـار
إنمـا سـتموت البسـمات قبـل أن تصـل إلـى الشـفاه...
وسـتهطل الأحـزان علـى الأرواح حتـى تألفهـا فتطمـس عبيرهـا الـذي لا ينطلـق إلا مـرة واحـدة فـي العمـر فمـن لنـا بعمـر آخـر ينطلـق منـه العبيـر ؟
من لنا بلقاء آخر يشبه المستحيل
المدينـة لازالـت هـي بمـا جـد عليهـا والأشـخاص لازالـوا

بمـا طـرأ عـل حياتهـم نحـن الديـن لـم نعـد كمـا كنـا جرفتنـا الليالـي المليئـة بالأسـى إلـى أماكـن مجهولـة لـم نعـد نعـرف فيهـا أحـدا حتـى أنفسـنا ... وسـوف لـن نلتقـي أبـدا ولـن تجمعنـا فرحـة كانـت ذات يـوم تسـعنا ونسـعها لأننـا مـا كنـا نريـد سـواها فهـل غيرتنـا الحيـاة أم نحـن الذيـن غيرناهـا بأطماعنـا التـي لا تنتهـي، وربمـا بأحلامنـا التـي لـم تتحقـق؟؟ ومـع ذلـك فلازلنـا نزفهـا بمزيـد مـن أحـلام الجنـون والمسـتحيل.. فهـل كبـرت أحلامنـا أم أننـا نحـن مـن كبرنـا عليهـا فلـم نعـد نسـعها ولا تسـعنا، ربمـا ولكنهـا سـتظل فرحنـا الأكبـر وباكـورة الأمل المشـتهى... وسـنظل نتفيـأ ظلالهـا كلمـا انقهرنـا بالنائبـات...

آه يا سيدتي

لكـم تبعثيـن فـي قلبـي لواهـب الأنيـن وتحركيـن فـي صـدري تراكـم السـنين . مـن أيـن لـك تلك الكلمـات؟ ومن أي بحـر انتقيتهـا كالـدرر ترصعيـن بهـا أجيـاد الثكالـى والأرامـل واليتيمـات اللائـي غـادرن عالـم الجواهـر إلـى الأبد....وتزيـن بصبـر لا تطيقـه الجبـال...

كـم هـو أليـم ألمـك.... حزيـن حزنك...وكـم تغوصيـن بهمـا فـي ثنايـا الأرواح وثقـوب الأفئـدة التـي أدماهـا

الرحيل من ذا الذي أخطأه القدر ولم يصبه في كبد الحزن ومستقر الألم

من ذا الذي مدّ له القدر يدا حانية أو مسح على آلامه بغير التناسي؟؟ ومع ذلك لكم هي رائعة تلك الكلمات تحلقين بها في الملكوت الأعلى تبحثين عن ظلال تسمينها ظلال الوهم... تتوهمين ظلها هناك وأنت تكتشفين أنها لا تعطيك من فيئها شيئا وتسحبك من عمق المعاناة إلى وهم اللامبلاة لتلقي بك على أعتابها الخاوية وعروشها الهاوية ورحت تلقبينها بظلال الوهم لكني أعتقد أنها ظلال الحقيقة وهل هناك حقيقة أخرى في الحياة غير الموت؟

توضيح

ظلال الوهم:نص لجميلة زنير

قفي هنا حيث أنتِ

قفـي هنـا علـى أعتـاب الـروح لـن تسـتطيعي مـد خطوتـك لا إلـى أمـام ولا إلـى وراء، فكّـري ألـف مـرة ومـرة قبـل أن تُقدمـي علـى ذلـك... اقنعـي بكلمـات خـواء، تنفسـيها كمـا الهـواء و لا تحلمـي أن تكونـي أنـتِ فلـن يسـمح لـك أحـد بذلك....أنـت لـن تكونـي سـوى مـا أُريـد لـك، أمَـةٌ تقنـع بخدمـة سـيدها...الذي لا تعرفـه.؟؟.

مـن حسـن حظـك أن صـدرك مـازال يتسـع للهـواء فـلا تسـألي إن كان نظيفا لأن كثرة السؤال أورثتك الهموم.... وضاعفتْ مـن جحيـم عذابـك ....ولـم تعثـر لـك إلا علـى نكوصـات تتقهقريـن بهـا إلـى وراء الـوراء...

افتحـي فمـك للجنون ولا تبتسـمي فقد يعتقدون أنك مجنونة ويوقعـون شـهادة بذلـك فـي سـجلاتك التـي يحتفظـون بهـا ولا تعرفيـن مـا هـو مخطـوط فيها،انتفضـي فقـط كطائـر جريـح وقـد يُظـن أنـك ترقصيـن علـى جروحـك فيضاعفـون التركيـز سـاجلي أفكارك(المجنونـة) فـلا أحـد يقرأهـا، واعصـري شـهقاتك فـي الـدواة ثـم أسـيليها علـى

صفحة القلب الجريح الذي ينتحر في اليوم مئات المرات ولا أحد يلتفت لمأساته.....

من الجنون أن تُحبي هنا فإنك تكونين قد أسلمتِ نفسك للعاصفة، لكن من الحُب أن تُجنّي فأمثالك كثيرات....

الحب هنا كلمة فضفاضة تسع ما حُرّم أكثر من الحلال....و ستضيعين بين كلمة مطلقة وأخرى منفية هل جاز أم لا يجوز....

يجوز لك مالا يجوز لغيرك إن كنت لا تصدقين....

الصّدق شعارك، فاحترقي إذن بنارٍ أحابيلُها طويلة ، وألسنتها تخترق السماء...لن تجدي في شعارك الأجوف إلا البهتان وإن كنت لازلت تصدقين وتصدقين وتتحرين الصدق فستدخلين نارهم التي أوقدوها في عالم يتغذى بالنفاق ويحيي بكذب ملون يناسب عصر الزور وشهادته الباهتة

أيتها السماء ؟جودي بمزيد من الصبر ومزيد من الحيلة فإن البياض تجذب نصاعته الدنس فكيف ينقي؟؟ جودي بمزيد من الضوء فإن شمس الصباح لم تعد تحجب ظلام الخرافة وعتمة الأكاذيب...

الأسنان المفترة عن ابتسامة الليوث تخترق أحجبة القلب الرهيفة وتستقر في سويدائه باسم أغلى شعور وأنقاه....
والإخلاص له ميزات لم يعد يدركها الجميع، وهم ينكرونه بين صفات كثيرة أغلبها تنفر منه الغربان....
ليس بيدي أن رفرفتُ في أعالي الصفاء وجدْتُ بكل أنفاسي في الشهقات الأولى فإن أحلى العمر بكوره.....
وليس بيدي أن أكون كما أريد لي ولو أردت ذلك.....
ليس بيدي أن صببتُ حر فؤادي فوق صخر أصمّ، ووتد انغرز في حشاشة الروح، فما برحها وما تململ....
في لحظات العمر الهاربة أعمار من القهر و أعمار من الجمود، في كل سنواته العجاف لا سنابل خضر ولا يابسات ، فقط تبنٌ تهزّه نسمة خفيفة ونتوءات تجتمع في زوايا البيدر.....وغبار يتطاير هنا وهناك يندس بين الروح وحشاشتها فيخنق الصدر والأنفاس من لي في ساعة الجنون بمدفع يخترق الصمت ويقرا الصدور كي أسلم الروح؟
من لي بصفحة مضيئة تمسح ما علق من بقايا الأسئلة الغارقة في الظنون لا أريد اختراق الغيب لكنني فكرت في لغة شفيفة للصمت....

لا أرغب في الفضول لكنني أردتُ أن أضع توصيفا لائقا للزيف...

من جليد الليالي الخالية من حضورك الغائب نحتتُ بيدي المرتجفتين رجل الثلج البارد المخيف و ألبسته دثارا من أنفاسي المحمومة فنفخ روحه في صدر غيري،وأسلم أمره لأعدائي...

من ظلمة الأيام الحالكة بسواد الهموم نسجتُ للرجل الجليدي أشعارا مضرجة بفتيت الحنايا فلطخ بحمرتها عفتي.....وقهقه استهانة بعرضي وشرفي الذي كان واثقا من نصاعتهما..وأذهله أن ينال الوسام وهو يلوكهما ببذاءاته أنا ضحية الرجل الجليدي الذي انتصب في حنايا الروح يرجفها .

كم من الوقت يلزمه لكي يذوب؟؟... وكم العمر سيضيع من أجل أن يعترف بجنونه....

ازرقّتْ شفاهُ الدّهر وارتجفت أوصالُه ومازال الجليد يتحدى الشمس ويتصلب من حرارتها..... ومازالت العواصف لا يرتعش لها سوى وجدانك...

فقفي حيث أنت ولا تتقدّمي خطوة واحدة سيكون فيها انتحارك

كنزي يا أنت

رائـع يـا أنـت كمـا الأمـل، كمـا الكنـز المفقـود الـذي نقضـي حياتنـا فـي البحـث عنـه وهـو بيـن أيدينـا. لكننـا لا نـراه لأننـا منبهـرون بأحلامنـا فـي الوصـول إليـه..

رائـع وانت.تتـوارى بجانبـي بألـق هـو الوجـود وضـوء سـاطع هـو الخلـود، بينماأمضـي بجنـون أبحـث عنـك فـي غيـرك وأصنـع لـك مـن جنونـي إطـار أعلقـة عـل جـدران الجهـل و العنـاد..

أنـت كمـا الحلـم الرائـع الـذي نعايشـه فنهـرب منـه لكـي ننـام ونشـاهده فـي أحلامنـا، ومـا نـدري أننـا تركنـاه فـي يقظتنـا. والغريـب أننـا ننتشـي بأحلامنـا فيـه أكثـر مـن وجـوده أمامنـا كمـا الوجـود أنـت والـذي حلاوتـه فـي وجودنـا ليـس إلا ولكننـا لا نـدري كذلـك ونظـل نبحـث عـن مـكان آخـر نجـد فيـه مـا نخبئـه مـن تماثيـل أحلامنـا ورؤانـا التـي لا تشـبه إلا الـرؤى والأحـلام...

كا لأمانـي الرقراقـة أنـت والتـي عذوبتهـا فـي أنهـا (فقـط) أمنيـات، كمـا الأشـياء الجميلـة الرائعـة فـي الحيـاة التـي لا

تتغير ولا تتبدل لأنها الحياة نفسها والوجود مع أننا لا ندرك ذلك....

ولربما لا نريد أن ندرك ذلك..ونمضي بها بعيدا وتمضي بنا أيضا لا ندري من أخذ منا بتلابيب الآخر وقاده إلى ساحته...

تلك الأماني التي تنتقل من جيل إلى جيل و من صدر إلى صدر و من قلب إلى قلب،ومن عيون إلى عيون... تدفئ أيامنا ونحن نبحث عمن يفعل تفرح قلوبنا ولا ندري لم تفعل تتألق في عيوننا ونحن نبحث عن غريها لكي نتألق...

كالعطور الزكية أنت نتضوع بأريجها ولا نعرف كيف نصف رائحتها مع أننا ننتشي باستنشاقها ونستمتع برشها على أجسادنا وأثوابنا تعبق بها أنفاسنا وأرواحنا....وتتعطر بها مجالسنا كدفء البيت الذي يأوينا في ليلة ممطرة ويعيد إلى نفوسنا اطمئنانها وهدوئها وإلى أرواحنا وعودها ووجودها وكنار الموقد التي تصنع هذا الوجود في قلوبنا وأفئدتنا قبل بيوتنا....وتحرسه بدفئها ورائحتها التي ألفت برودتنا وتعودنا على حرارتها....

كأشـيائنا الخاصــة التــي لا نفـرط فيهـا لأحـد ولا نفكـر فـي ذلـك لأننـا نكـون بذلـك نعتـزم الاسـتغناء عـن حياتنـا ووجودنـا، تلـك الأشـياء الخاصـة التـي لا نريـد أن يعرفهـا أحـد كـي تظـل أشـياء خاصـة...

كالأسـرار الجميلـة التـي تطويهـا صدورنـا وتغلـق عليهـا أفئدتنـا بإحـكام ولا نسـتطيع أن نصـرح بهـا لأحـد والتـي ترحـل برحيلنا...وتطـوى فـي قبـر الوجـود ككثيـر مـن الأسـرار التـي لم ولن تكشـفها الحياة..ولن تتناولها الألسـن مهمـا زرعـت مـن جواسـيس ومهمـا بثـت مـن أجهـزة التنصـت، لأنهـا أفكار تتحـدث بها النفس ويحتفي بها الفؤاد لكنهـا تنتهـي عنـد حوافـي الصمـت وعتبـات النسـيان...

كا لأبـكار مـن كل فرحـة ودانيـة القطـوف مـن الأبـكار والأفـراح الأولـى وأول الغيـث مـدرارا كان أم شـحيحا....

كاللهفـة لأول لقـاء وأول صدفـة وأول حلـم وأول العمـر...

أنـت يـا أول العمـر كالصـلاة والخشـوع فيهـا والذوبـان فـي تسـابيحها والخلـود إلـى أذكارهـا والاطمئنـان إلـى تراتيلها،والسـعي للالتـزام بأوقاتهـا والحـرص علـى فرائضهـا وسـننها كمـا القصائـد الجميلـة التـي نحفظهـا

جميعـا وننشـدها فـي كل وقـت ونتـوارث ذلـك ونرددهـا فـي انبهـارات الفـرح وجلائـل الأحزان...نطلق لهـا العنان كـي تنقـي وجداننـا وتنزلنـا منـزل صـدق فـي أفراحنـا وأحزاننـا سـواء بسـواء....

كشـعاع الحنـان أنـت الـذي ينسـل إلـى أغـوار النفـس ليدفئهـا ويمسـح علـى حناياهـا بتـؤدة ومـودة، لا نـدري كيـف انسـل إلـى ذواتنـا ولا كيـف وصـل إلـى منبـع الفرح فيهـا ولا كيـف غـار فـي عمـق المآسـي والآلام.....

أنـت يـا رفيـق الأيـام والليالـي المدهشـة كضـوء القمـر الـذي يهـزم عتمـة الليالـي المظلمـة فـي شـتاءات النفـس الثقيلـة ويقضـي على ظلمـة العمر المترامية الأطراف....

ويشـعل للـروح شـمعتها كـي تواصـل الإحتـراق التـي ينبعـث بالنـور والألـق....

كمـا لنـور أنـت نـور علـى نـور أهتـدي إليـه حيـن أشـاء وأرغـب، لا أحـد يحجبـه عـن عينـي لأنـه مـن الجـود أن كان الشـمس والقمـر ولا يبعـده عنـي لأنـه أقـرب منـي إلـي وكالهـواء الصافـي يعمُـر صـدري بالحيـاة وأسـتمد بقائـي مـن صفائـه دون أن أدري ورغـم أنـه الحيـاة نفسـها

والوجود ذاته إلا أننا لا نلتفت إليه بتاتا لأنه يدخلنا بتلقائية وبلا ثمن ودون منٍّ منّ أى كان،فنعتقده هيّنا، وهو لازم تحتم ولا حياة لنا بدونه إذ أنه سرها العصي على الإدراك...

فيا أيها النور والشعاع الذي أضاء بحبه بصري وبصيرتي،وهدى بهديه خطوتي وقاد بثباته وجهتي أيها الحلم الكبير الذي تحقق وأبهر وجودي بروعته،وأضاء أيامي بسطوته ، وعلمني كيف تتحقق الأحلام أيتها الأماني الرقراقة وأنهار الجود الدفّاقة التي سالت بين يدي بلا حساب وعمرت خيمتي واشتدت بفضلها شوكتي وبثت الندى في صحراء نفسي فأزهرت بما لا يخطر على البال من ثمار..وما يفخر به من عمار....

أيتها العطور التي راجت في فضائي تملأني وتفسح لي في المجالس أحسنها وعلى الأرائك أفخمها وفي الدور أعرقها والقصور أعتقها...

أيها الدفء الذي احتواني وشملني ورعاني، فاستقمت على الهدى أرضى به وأرضيه وأطمئن إليه وأطمئنه... أستشعر راحة من رياح الجنان وآلف واحة في ثنايا النسيان...

أيها الحب الذي كان وسيظل كبيرا،
كنزي يا أنت دمت لي

لو نظرت إلى وراء يا والدي

بين السقم والسقم يتعافى القلب ليحبك يا والدي وأنت هناك ، حيث لا أستطيع أن آتي إلا بإذن ولا تستطيع أن تؤوب لأنك رحلت بإذن رحلة .أخذتْ كل زادي وكل يقيني بين الموت والموت يحضرني غيابك الحاضر وحضورك الغائب أكتوي بهما في وحدتي واغترابي عن نفسي ومن حولي حين غاب دليلي...

آه يا والدي....

لك وحدك حديث قلبي والوجدان، ولك عصارة روحي التي بذرت ترابها و أسقيتها ماء الحياة الصافي.... من مهجتك المتأججة بإكسيرها....لك الحب والشوق والحنين وما جاور هذا وذاك من كلمات الجوى والنار... لك الضحكات والشهقات والأنفاس المتأججة بنار الفراق..والحسرات الحارقة والاحتراق.

حبيبي يا والدي

لا أعرف أعمق من سويداء القلب تتربع على عرشه سلطانا على أيامي وكل أحلامي.... ولا أغلى من

العيـن يحتضنـك بؤبؤها....نـورا لدربـي ومـا بقـي مـن أيامـي....

رحلـت بيقينـي يـا والدي....يـوم رحلـتَ ذات فجيعـة وتركتَنـي بـلا يقيـن...كل الظـلال بعدك تكشّـفت لـي عـن حرّهـا اللاهـب، فضاعفت آلامـي وحرقتي.....وما كنتُ اعتقدتـه حَـرّا عنـدك كان ظـلا مـن ظـلال الله فـي الأرض عنـد مـن اعتقـدت أننـي سـأتفيأ ظلـه هرَبًـا مـن لهيـب حزنـي واحتراقي....رعشـةُ الـرّوح وحشـرجتها تتلهـف لنظـرات الحنـان فـي عينيـك يـا حبيبـي يـا والدي...وظمـأ السير فـي الفلـوات المقفـرة والعيـون التـي تحجـرت فيها النظـرات القاسـية،أفقدني بصيـص أمـل فـي وجـود نقطـة مـاء فيها...وحتـى قيعـة سـراب أحسـبها مـاء لظمئـي.. وجفـاف ريقـي مـن السـير المضنـي فـي رمالهـا الحارقـة، تسـتفني وعقاربهـا المارقـة تلذغني...وأنـا أمـوت وأمـوت بيـن مطرقتهـا القويـة وسـندانها الصلـب القاسـي.

ترى هل نسيتك أبي؟؟

عشـر سـنوات مـرت والقلـب يـذوي فـي فضـاء الشـوق واللهيـب لحظـة لحظة....قلبـي الـذي أصبـح قفـرا....

وروحـي صـارت صحـراء لا أنيـس فيهـا وأنـت هنـاك تأنـس بمـا وراء العقـل والإدراك.....ذات يـوم طـوت فيـه السـنة صفحتهـا الأخيـرة وهمـت بالرحيل،رافقتهـا تـاركا فـي صفحتـي كل الأسـى.....ذات قـدر قـاس ودّعـتَ ليلـة رأس السـنة ببسـمة ودعـاء لا تلـوي علـى بقـاء....ذات حـزن وحـزن غـادرت بسـلام لا تنظـر إلـى وراء...لمـاذا لـم تنظـر إلـى وراء ؟؟

أيها الغائب الحاضر يا والدي

لـو نظـرت إلـى وراء قليـلا، لرأيـت الفـؤاد يتدفـق ويسـيل علـى جبينـك البـارد،ذات شـتاء مثلـج وليـس لـه نظيـر... ورأيـت العيـون تهمي وتنسـكب في الصمـت المهيب الذي أحـاط بجـلال الموت وحضورك فيه.. لو نظرت إلى وراء لرأيـت أيـة طفلـة أنـا و كنتَ تعتقد أنها كبيـرة كيف ضؤلت وانكمشـت وتلاشـت فـي الحـزن وغيابك...والرحيـل... لرأيـت كيـف ضـاع صبـري وغابـت شـجاعتي والتمسـت بقاياهمـا فلـم أجـد سـوى البـكاء والبـكاء وكيـف بـان قهري وسـلمت لـه أمـري وصـرت أتأرجـح بيـن الفنـاء والفنـاء لـو نظـرتَ إلـى وراء لرأيـتَ كيـف أضعـتُ بوصلتـي

وافتقـدتُ وجهتــي وانكفـأت علــى وجهــي ، أتعبـد فــي محـراب الجـلال الـذي هيـأه موتـك الـذي مـا كان مفاجئـا، لكنــه قاهـرا ولا يشـبه موتـا آخـر...

يا والدي...

لـو نظـرت إلـى وراء لرأيت شـفاهي تندلق علـى يدك التي أعطبهـا الدهر،فصـارت أصـدق رمز للأبـوة والعطاء.....

لو التفت إلى وراء لرأيت روحي مسـجاة أمام جثمانك... تلتصـق بـه ولا تغـادره إلا لفـراغ الفراغ...تتشـبث ببقايـا وجـودك حتـى لا تضيـع فـي بقايـا وجودهـا المزعـوم؟؟؟

يا بابا أيها الحبيب الأول والأخير.

ضمـة شـفتي علـى لفظـك العذب الحبيـب...أول قبلـة و.... آخرهـا وجرسـها علـى قلبـي أنقـى الألحـان وأعذبها...فـي صقيـع الصقيـع تركتنــي ينخرنــي بـرد المـوت ورجفـة الرحيـل بــلا وداع،ويخزنــي بملايييـن الشـفار الحــادة فينسـكب دمـي فـي تلـك الأصقـاع التـي لا حـرارة فيـه... فــي صقيــع الصقيــع ارتعشــت أوصالي...وجمعــت بقاياهـا لتنتحـر فـوق جبينـك البـارد يـوم الوداع...وتعلـن استســلامها لقــوة المــوت وســطوة الأحــزان..

فـي بـرد البـرد وظلمـة الظلمـة كشـر الحـزن عـن أنيابـه فـي وجهـي يرعبنـي، وأخـرج مخالبـه، يفترِسُـني ،ويلتهم مـا بقـي مـن أيامـي الفارغـة مـن الحيـاة.

يا والدي.....

بعـد فجيعـة غيابـك كلمـا مـرت فـي زمنـي لحظـة، زادت فــي عمــر أحزانــي دهــرا، وكلمــا دار يــوم حفــر فــي أعماقـي قبرا.....حنينـي إليـك يقهرنـي .....يحصرنـي... يرميني.....فـي وهـاد الأسـى واليأس.....ويوثـق أنفاسـي فـي مهـاوي القهـر والإحبـاط.

هل نسيتك أبي؟

اسـأل خافقـي يجبـك عـن سـواد الأيـام والليالـي التـي دارت بعـدد دقاته...واسـأل شـهقاتي التـي تحشـرج اسـمك صبـح مساء...اسـأل آهاتـي التـي أحرقـتْ مهجتـي فـي حرّها.....واسـأل صمـت الصمـت وحسيسـه القاتـل.... واسـأل الكلام والهمس..... والزفرة والنظرة..... والصّبر وصبـر الصبر....اسـأل سـهادي والأرق المبلـل بالدموع، والعيـون التـي مـن فجيعتهـا لا تنام...واسـألني هـل بقـي مـا يجذبنـي إلـى الحيـاة بعـد رحيلـك، أو مـا يشـدني إليهـا

ومـا أنـت مـن أحيائهـا .اسـألني عـن حزنـي وحزنـه وعـن لياليــه الســوداء،وأيامه العرجاء،وانصهــاري فــي أتــون نيرانــه الحارقــة التــي لــم تــدع منــي ســوى البقايا...بقايــا تستمتع بتوقيـع آهاتهـا هنـا فـي قبـر الذكريـات المنتصـب فـي أعمـاق بقائهـا المفتـرض....

ويميـل بـي العمـر لحظـات قليلـة إلـى وراء..حيـث أرى وجهـك يسـنو نـورا يدلنـي علـى أشـجار الفـرح وأهلـة العيد.....عندمـا كانـت بسـمتك المشـرقة تضـئ قناديلـي وتهـزم عتمتـي اللامتناهية،وتدلنـي علـى نفسـي وعلـى طريـق الأمانـي المفضـي إلـى الحـب والحـب

حبيبي يا والدي.....

وُجـد الشـعرُ ليُنشـد فـي حضـرة جلالـك أبـا للأبـوة ووالـدا للحنـان....و القوافـي حُلِـى لا تنضـد إلا وسـاما علـى صـدرك الكريـم أنـت يـا مـن اسـتحى الجـود مـن كرمه.....والأغانـي ترفـع تاجـا فـوق رأسـك الشـامخ بالعطـاء.... البـاذخ بالبهـاء.

فهل نسيتك يا والدي...؟

قـد تهزمنـي الأحـزان وتمتـص منـي الخلايـا ورحيـق

الحياة...قد تستنزفني ذكراك قطرة ...قطرة... ترمي بها بإهمال فوق تربة جافة وقاسية...قد تطوح بي صحاري بقايا العمر في الأحزان والدموع وتهملني في التواءات البكاء والهموم.. لكن لن يستطيع أي كان ولا أى شئ..أن ينزع صورتك البهية من قلبي...ولا جبينك الوضئ من جفوني....ولازلت أعب من أجلك الهواء حبا فقط لكي أزفره لك حبا وحبا... وعندما يشرق الموت بآخر أنفاسي في غرغرته الأخيرة ياوالدي سيكون اسمك الحبيب آخر ما تسمعُه الحياة من شفتي وستفتر سني بعدها عن ابتسامة الرضى ...لأني أكون قد انتقلت إلى عالم الطمأنينة ....حيث أنت هناك... يا أبي

انتحار

أنـا أعـرف أنــي انتهيـتُ يـوم سـفحتُ دمائــي فــي مقامـك الـذي لـم يكـن زكيـا فأنـتَ لم تكـن وليا ولا طاهـرا ولم تكن ترفـع يديـك إلـى السـماء....لكن المقـام ليـس بالضـرورة أن يكـون زكيـا، و(الحضـرة) قـد يكـون للشـعوذة نصيـب فيها...وللدروشـة كل مظاهرهـا الغريبة....واسـتعراضاتها المريبة...

وأنـا أخطـأت عندمـا اعتقـدتُ أنـك قـد يكـون المقـام سـاميا عالــي القـدر رفيـع الشـأن والقيمـة لذلـك لـم أكتـف بدمائــي المسـفوحة فيــه بــل أردفتهــا بهبــاّت الحيــاة فــي فـؤادي وزخاتهـا فـي صـدري و جعلتـه يلتقـط بقـاءه مـن فتـات غرورك،وعندمـا اعتكفـتُ فـي زاويتـك المعتمـة أمـارس طقـوس الابتهـال لإرضائـك وأضـئ شـموع الـروح مـن أجـل إزالـة عتمتـك الداجيـة ....عتمـة لبسـتني وأنـا أحاول تجريـدك منهـا بطقوسـي الغريبـة التـي أذهلـت معارفـي الذيـن يعرفـون مقـدار ثورتـي علـى الدراويـش.... ومقتـي لخزعبلاتهـم الغبيـة الجاهلـة وبقـدر مـا كنـت أكـره الأنـا

عشقتُ هذا الغرور فانتفختْ لديك تلك الملكة الطفوليّة التي دمّرت كل ما هو جميل في أيامنا ولياليناا....
وكانت تلك العاصفة التي بدت من أولها هوجاء ولا تشبه إلا الأعاصير والطوفان.....
سأبدأ من حيث انتهيتُ شبه امرأة ، تتلقفني نظرات الشماتة والإشفاق معا، وتؤذي سمعي وشوشات الضحك والاستهزاء في آن. وكنتُ قبلك كاملة الأنوثة والوصف ولا ينقصني ما يبحث عنه رجل مهما كان حالما لأنني باعترافك كنتُ منتهى الأحلام كما كنتُ بدايتها، كما اعترفتَ أنني ما ذقتُ من ثمار الجنة المحرمة وما أغريتُك بها لأني وجدتك على أعتابِها تتخبط في أغلال الخطيئة وترشف من نبعها العكر...
ولقد أنقذتك منها ذات قدر كان فيه قضائي في معركة لا تكافؤ فيها، وأمضى سهامها عندي كان حنايا الفؤاد وانسكابه الأول،وأضعف أسلحتها عندك قنابل من الغدر وأنصال من الخيانة....
من سنا براءتي نسجتُ لك دثارا من لؤلؤ المحبة دثرتك به تحت عروش الياسمين التي ورثتها من

قصـور غرناطـة والزهـراء.... أنـا التـي أسكنتك جزائـر الأندلـس حيـث الأناشـيد تُعـزفُ بأنامـل الملائكـة الأبـرار والأنـوار تتـلألأ شـفافة كالبلـور....و لـم يكـن مكـرك قـد عكّـر سـمائي بعـد حيـن اقترفتُ خطيئـة الوفـاء... ومازلتُ أقترفهـا علـى مـدى مـا ضـاع مـن أنفاسـي فـي اللّهـث وراء الكبريـاء وعلـى مـدى مـا تقطّـع منهـا ممـا سـيأتي مـن هدرهـا.... أنـت لـم تكـن شـيئا فأنـا أوجدتـك مـن طين جنونـي وحمـأ يقينـي... ونصّبتـك أميـرا علـى مملكتـي التـي أسسـتها بلبنـات مـن النـور وجعلـت لهـا أسـقفا مـن طُهـر وإخـلاص نادريـن... فكنـت تضـئ مـن خلالهـا كالمـلاك النائـم فـي ذات البـروج... لـم تكـن أنـواري تنطفـئ حينهـا فأشـرقتْ بـك وأشـرقتَ بهـا وكنـت مسـرّة للناظريـن وكنـت جذلـة... لكـن عطشـى كالجـدول الصافـي الـذي يسـقي الظامئيـن والحصـى يدمـي مسـيره.. فهل تعرف أن الجداول والأنهار تنتحر من عطشها ؟؟

وهل تعرف أن الأمطار تحيي الأرض لتنتحر في السماء؟

لـن تفكـر_ وقـد زلّـت بـك قدمـك_ فـي هـذه الأمـور التـي تراهـا تافهـة وهـي كل الحياة.

الحيـاة عنـدك تبـدأ عندمـا ينتهـي الآخـرون وتنتهـي عندمـا ينتهـون أيضـا....

والحيـاة عنـدك تبـدأ حيـث أنـت وتنتهـي حيـن تنتهـي لكنك تعتقـد أنـك لـن تنتهـي أبـدا.. أو أن الكـون سـيتوقف عنـد نهايتـك المحتومـة هـذه.. تلـك التـي لا تتوقعهـا حتـى تؤخذ أخـذ عزيـز مقتـدر كل الخطايا تنبعت مـن الأنا وأنت أيضا فهـل أنـت كل الخطايـا؟؟أم كنـت خلقـا آخـر هـو الأثـرة؟؟ بمـرارة الخطـو المتعثـر علـى أشـواك الخديعـة رسـمتً منعرجـات المكـر فـي حياتي المتعبـة وعلى مدى المسيرة الحزينـة كنـت تُصفّـق ضاحـكا مـن أنفاسـي اللاهثـة وراء المقـام المغشـوش وكنـت تقبـع عنـد كل منعـرج فيهـا كـي تذكرنـي بفشـلي المقـرون بخيباتـي المتتاليـة علـى مـدى كل سـنيني العجـاف فهـل كنـت قـدري ؟ وأنـت اختيـاري أم كنـت اختيـارك لتكـون قـدري؟ فمـا الـذي غلّنـي بقيـود الاستسـلام وأنـا مـن الحرائر؟؟ومـا لـذي أوثقنـي قـرب مقامـك تخنقنـي أبخرتـه السـامة وتؤذِينـي أتربتـه المتناثـرة فـي شـهقاتي.....

أعرْنـي سـمعك لأصـرخ فـي صمـت قـد يهـزُّ صعـار

خـدّك ويزلـزل جـدران التناسـي التـي حجبـتْ عـن عينيـك نـور اليقيـن والبـراءة، أعرنــي سـمعَك لأقـولَ لغـرورك الطافـح بالجهـل والأذى :

كهفُـك المغلـقُ بـلا ثقـوب تنفِـذ البصيـص ولا نتـوءٍ تمتـد إليــه يـدٌ، ولـو كان يدميهـا ،أطفـأ كل منافـذ النـور فــي فـؤادي... وأدمــى أصابعــي وأشـعل قيـظ صـدري فمـا انطفـأ اللهيـب ومـا انقطـع سـيل الدمـاء ...ومـا عرفـت للنـور طريقـا بعـد، فلازلـتَ القيـظ واللهيـب ولا زالـتْ السـكين بيـدك تقطـر منهـا دمائــي... ومازلـتَ منتصبـا تسـد كل المنافذ.ولازلـتَ قضائـي وقـدري ليـس باختيـارك ولا باختيـاري ,أنـا مـن اختارنــي القـدر لكـي يكـون علـى يديـك انتحــاري....

ماذا أهديك أمي

عندما يذكر اسمك يا أمي تزهر كل البساتين خارج الفصول الواعدة بالزهر، تقيم الطيور حفلا للشذي على أنغام السواقي وخرير الأنهار،تحتفل الزهور والرياحين بأريجها والورود تقيم مأدبة العطر والرحيق أمي رسمك الصغير يضم أوردة الفؤاد واسمك يضم الشفاه على حب يريد أن يأخذه معه إلى حيث لا يعود....حب يكون الأول والأخير وما بينهما....

يا أمي

أدركت الآن أن قلبك الحاني الذي اتسع لأخطائي وحماقاتي لم يحتف بغير اسمي إلى أن لفظ الحياة ،وأنه خشع في صلاة فاتحتها أنا وأدعيتها ارتعاشة قلبك الصغير وأذكارها وتسابيحها حنانك الكبير يداك الحانيتان عشي، الذي ضم أحلامي ومعها صلواتك الخاشعة التي كنت تتبعينها بدعواتك لي، أعرف أن دعواتك تلك هي التي فتحت لي آفاق قلبي والحياة....وهدتني حيث يجب أن أهدى وأكون...

عيناك أمي، مهدي الذي هزّه شوقك وحنينك إلىّ وأنا في أحضانك وبجانبك.وهما أغطيتي ودثاري ومنهى الدفء وأحلامه اللذيذة المليئة بالحياة....

صدرك كان ملاذي، في نجاحاتي وإخفاقاتي ووسادة أحلامي الجميلة، حين لم يكن للكوابيس معنى في أحلامي....وكانت الرؤى تصدقني وأصدقها وتبلج عما أريد وتنبثق عما أعشق....

حضنك كان جنتي، وفراديسي ومنتهاى ومبتدئي ،وقد أدركت الآن أنه كان أوسع من بحر و أكبر من قصر وأجمل من الوجود.وكنت أنسى فيه من أكون ومن أنت وأستسلم لدفئه النابض بالحب والحب.

اعبريني يا أمي بغيابك الحاضر كما يعبر الخرير السواقي منتشيا برقرقة الماء وحسيس الهواء.

اعمريني بشذى ذكرياتك كما الربى تشد الأرض بأوتاد من البهاء والخضرة.وتعطرالوجود بمختلف أنواع العطور.

اسكنيني أمي بشوقي الدائم إليك كما الطلّ يلتصق بالأكمام ولا يغادرها كما الأريج يحضن الزهور في

عشـق لا يشـبه إلا شـبق الحياة....وعنـاق هـو أكسـيرها العجيـب....

اسـحبي مـن ذكـراك علـى عيونـي أقسـى نظراتـك فلـن تكـون سـوى الحنـان والحنـان.

واسـدلي علـى جفونـي شـيئا مـن غدقـك يـا أمـي فلـن يكـون سـوى الفـرح والفـرح.

يا أمي

هـالات النـور التـي كانـت تتـلألأ حـول جبينـك الوضـئ فراشـات زاهيـة الألـوان تختصـر الوجـود فـي فرحتهـا المتراقصـة، بالزهـو والضحكات.وتلخّـص الحيـاة فـي النظـر إلـى ألوانـه الزاهيـة...

باقـات الألـق التـي كانـت تلتمـع فـي عينيـك ريـاض تُحبـر فيهـا الجنـان والحـور العين...ومنارللمتقيـن فـي الجنـان الخالـدات..

اسـمي بيـن شـفتيك لغـز الحيـاة وسـعادتها ،واسـمك بيـن شـفتي سـعادة الحيـاة ولغزهـا الأبـدي.

يا أمي

تأتـي مواكـب الحـب فـي يـوم كان مقـداره الحـب نفسـه ومعـه الربيـع وفصـول أخـرى للبهجـة و الفـرح تحتفـل

فيهـا القلـوب جميعـا بنبضهـا، والصـدور بشـهقة الحيـاة فيها....والعيـون بألقهـا ونـور البصـر فيهـا..

وتسـتعد فيـه كل حدائـق الـورود والرياحيـن لتقديـم باقـات الحب المختلفة الشـذى والرحيق، لكي تشـتم أريج ابتسامتك الـذي يزيـن الوجـود، ويرقـص النـور ويعطـر الفضـاء....

أمي

يـا مـرآة تنجلـي عـن الطّهـر والأمانـي وتسـطعُ بالأحـلام والأغانـي، فـي مرآتـك التـي لا تشـبه إلا اللجيـن الصافـي رأيـت طفولتـي ترقـص علـى تصفيقـات جدائلـي الشـقراء التــي ظفرتِهــا بالوجــد والاحتــراق فالتصــق منظرهــا بذاكـرة الفـؤاد وقلـب الوجدان.وانغـرز مظهرهـا فـي ثنايـا القلـب وصـدق الامتنـان.

أمي

يـا فيـض خاطـري ومسـتقر أفكاري لـن يكفينـي العمر كي أحدثـك فـي انحنـاء عن نسـائم الحب التي ارتشـفها صدري مـن جنـان حنانـك ولـن يكفينـي الدهـر كـي أحدثـك عـن الأسـى الـذي طبـع أيامـي بعـد أن غادرتنـي ذات حـزن.... لازلــت أحفــظ يــا أمــي تلــك الأراجيــز التــي أســعدتِ

بهـا مهـدي وسـمعتها منـك وأنـا جنيـن يتكتم في سـر الخلق والخالق، رددتُها على مسمع أولادي كأذكار ي وأورادي، وسـأرددها كلما فاض وجدي وخاطري وكياني،وسأوصي بهـا لمـن تيّمـه هـوى الـروح وأسـقمه داء الرحيـل ولازلـت أكتـبُ مـن يقينـي أنـك مـن تكتبيـن عمـري وخواطـري وترسـمين دهـري وانكسـاري علـى عتباتـه ،ومـع ذلـك فمازلـت لغتـي تتلـكأ وتتلعثـم فـي سـرد مـا كنـتِ ومازلـتِ مـن إلهـام، و تحبـو لتلملـم شـتات الذكـرى التـي تعطـرت بالرضـى والحنيـن....

لازلـت تنسـابين فـي نفسـي بقدميـك الصغيرتيـن تتسـللين إلـى خلايـا الـروح، وتمسـحين عـن نظراتـي سـهام الحزن فينبثـق الوجـود عـن ورد الحـب والصبـر والأمـل...، تدقيـن بـاب الحلـم بيديـك الجملتيـن المصبوغتيـن بحنـاء مـن الواجبـات، تمسـحين علـى شـعري فتتـلألأ خصلاتـه كأسـلاك ذهبيـة تلتقـي مـع الشـمس فـي إشـراقها والبهـاء، تسـحبين غطـاء مـن الـدفء علـى جسـدي النحيـل وتغلقين علـي الخـوف كل منافـذه حتـى أسـتغرق فـي نـوم العافيـة والأحـلام اللذيـذة....

ولا زلـت أذكـر صباحاتـك النديّـة بابتسـامتك الجميلـة تشـرق علـى وجهـك، فيبـدو الكـون متلألئـا بنورها السـني وألقهـا العجيـب، أتنـاول منـك محفظتـي وقـد رتبـت فيهـا كتبـي وكراريسـي كتحـف نـادرة قادمـة مـن مـكان مـا لـم يخطـر ببـال بشـر، لـم أكـن أغـادرك يـا أمـي إلا لكـي أعـود إليـك وألتقـي بلهفتـك التـي لـن أراهـا علـى وجـه غيـر وجهـك الباسـم ، أذكـر إذ تهزيـن رأسـك فـي يقيـن أنـك تعرفيـن أننـي لـم أغـادرك إلا لكـي أعود لكي تبسـطي علـى مائـدة الأشـواق أطباقـا مـن زاد الحيـاة ودفقاتهـا... وددتُ يـا أمـي لـو طـال أمـدي ذاك فمـا غـادر إلـى سـواه وددتِ أنـتِ أيضـا، ولكـن لا مـرد لـي ولا لـك يـا سـيدة الأحـكام والواجبـات إذ لازلـتُ أذكـر تلـك الحقيبـة المليئـة بالأحـزان شـيعتِها علـى كتفـي حيـن غـادرت أيكتـك، لأطيـر بمهيـض الجنـاح فـي سـماء ملأتهـا كواسـر الطيـور، لـم أعـرف بعدهـا كيـف أنـزلُ مـن سـماء الخـوف ولا اسـتطعت أن آلـف الكواسـر ؟ كيـف أسـتطيع أن أفعـل وأنـا مـن بُـذرتُ فـي حضـن الرقـة وسـقيت بمـاء العيـون فكانـت الأحـلام سـدرتي والأمانـي كعبتـي.

لازلـت أذكـر صبـرك يـا أمـي، وصبـر صبـرك علـي الأذى وقهـر الزمـن، أذكـر أنـك ولـدت امـرأة لـم تعرفـي للطفولـة معنـى وأنـت تفتحيـن عينيـك علـى سـجون لا سـجن واحـد سـجنك الأكبـر فـي وطـن يئـن تحـت وطـأة الاسـتنزاف والاسـتدمار، وسـجن والـدك الـذي كان يسـتحل طفولتـك فـي أعمال لا يقـوى عليها الكبار، سـجن أنوثتـك التـي كان الجميـع يرفضهـا، حتـى اعتقـدتِ أنهـا عـار فكرهتهـا، وعاقبـتِ نفسـك بـأن طوقـت نفسـك بهـا متفانيـة إلـى أن غـادرت هـذا الفنـاء ،وسـجون أخـرى صنعتهـا لنفسـك مـن طيبتـك التـي يسـميها القـوم هنـا سـذاجة، ومـن حيائـك الـذي يقولون عنه ضعـف وقلة حيلة

يا أمي..

لـم أعـرف نموذجـا لحـواء الأولـى سـواك ، حتـى اعتقـدتُ أنـك نزلـت مـن الفـردوس ذات عصيـان..... فمـا الـذي أهديـك فـي العيـد يـا أمـي؟ وأنـا كنـت ذاك العصيـان الـذي اقترفتـه علـى مـدى تاريـخ امـرأة هـي أنـت،و علـى مـدى تاريـخ حـواء والعصيـان....

لا معنى للزهر وأنت الرّوض الملئ بالأزهار

ولا عطر له و أنت العطر والرحيق.

والحلـى والجواهـر تسـتحي مـن لآلـئ ابتسـامتك ولؤلـؤ جبينـك.

وتختفـي الألحـان عندمـا تسـتمع إلـى نغمـات هدهدتـك، وتنمحـي الصـور مـن صـدق المحيـا ، والقصـص والأسـاطير تنـام علـى صـدرك الحاني.وتنتظـر منـك قصتهـا وأسـطورتها.

الهدايـا سـتنطفئ أمـام ألقك يـا أجمـل هدايـا الحيـاة فقولي لـي مـاذا أهديـك يـا أمـي؟ فأنـا لا أجـد أحسـن منـي ومنـك هديـة لـك ولـي ولجمال الوجـود....

لا تكتبي بضغينة

ما كنت أعلم قبل الآن أن البوح ضغينة حتى غسلتُ نفسي من أدران قهرك.. وصببت لهيب انصهاري على الورق جمرة حمرة ...ولثقتي في أن المعاناة الإنسانية واحدة سلمتُ رسائل ألمي لأعز صديقاتي كي تقرأها وتشاركني ألمي... وما كنت أدري أن ردة فعلها ستضيف لقهري معاناة أخرى... كنت في غنى عنها...وتؤرخ له في صفحات أخرى ظالمة حتى اعتقدت أن الظلم وُجد من أجلي وسوء الظن في براءتي سيظل يلاحقني ويستنزفني مع أنه لم يبق لي سوى هذا النبض السقيم الذي احترتُ كيف أصرخ منه بلا آهات وأتألم بلا حسرات،وتخيلتُ هذا القهر جزء من مأساتي التي قد تحرّم علىّ الشهادة عند خروج الروح فقد تعتبرها جريمة وقعت بها على اعترافي بأنني من الحقودات وأنني أكتب بضغينة كما قالت صديقتي...

لا تكتبي بضغينة.....

أجل قالت صديقتي ذلك وهي أكثر من يعلم أن سوادك قد سربل ذاتي وطمس ناظري، أنا التي أردت أن أرد بقلمي البائس وأوراقي الشاحبة بعض البريق واللمعان لوساوس كئيبة كونتُها عنك وعن أمثالك من الآثرين... وأدفع بهما شيئا من ألم النفس وعلة الفؤاد....فإذا بي أُصدم في عمق الآمال المليئة بالجراح...

أنتَ من هؤلاء الذين وضعتُ لهم صورة جميلة في خيالي البرئ منذ كنت طفلة صغيرة لكن واقعك غير البرئ أخلط كل حساباتي وأعادني إلى البحث عن توازني من جديد....هزني وردني إلى بداية البداية لأرسم على لوحة طفولتي بطباشير أحلامي صورة أخرى بلا وجه ولا ملامح أرتعب أمام قرني شيطانها المخيف،وأرتعش خوفا من شعره المنفوش وعينه الواحدة التي تتوسط وجهه الذي لا يشبه الوجوه..

وأنا أعتقد أنه عندما تختار الأفلاك أبراجنا فهي تفعل ذلك لكي تحصرنا في الزاوية التي أرادتها لنا ولا يحق لنا بعد ذلك أن ندور في غيرها حتى لو خُلخل برجنا نفسه بما لا نقبل منها .....

وكان اللقاء وكان الرياء والزيف وورود اللدائن اليابسة، ثم..... ومادامت هناك ثم..... فالوضع يثير البكاء والشفقة.... ويستدعي الوقوف وإعمال الفكر والنظر، فكرٌ لا تعترف أنت به ونظرُ طمستَ يقينه بالرياء.... رياء من الإتقان أن انطلى على الزمن وأُلبس على من يلبسون ولكن ؟؟

القناع سيظل قناعا واو كان متقنا سقطت الأقنعة... كل الأقنعة... أجل سقط القناع عن القناع...وظهرتَ من خلفه صادما عادما وتقتل باليأس والإحباط سقط القناع الأول وأنت تدفن بيديك القاتلتين كل أحلامي داخل قبر أنانيتك التي أبحتَ لها إقامة الحواجز في ذاتي بنظراتك النارية... وكلماتك العسكرية وما كنت أعرف قبلك أن من النظر ما يقتل....وأن من الكلمات ما ينحر.... وأن من الناس من يفيض على آخرين بالقهر والعذاب يا فيض تعذيب وقهر:

لو كان الأمر بيدي لما ارتبط مصيري بأناك الموغلة في الأثرة فأنت لم تكن أبي ولا أخي ولا زوجي ولا ابني ولا جاري ولكنك كنت قدري...وهل أنا هاربة من قدري؟؟

أنـت الـذي اسـتطعت أن تجعـل مـن نفسـك محـور الكـون فـلا تـرى سـواها ولا تتعبّـد سـوى فـي محرابهـا. ولا تردّد غيـر أذكارهـا وتمـوت وأنـت تحضنهـا فـي قلبـك وعقلـك ووجـودك فـلا فـي الدنيـا إلاك ومـا الكـون لـولاك؟؟

يا قدرا كان.....

لـم تقـدم دليـلا للحيـاة يـدل أنـك مـررت مـن هنـا. اللهـم إلا إذا اعتبـرت الدليـل قتـل الحيـاة فـي صـدور الآخرين...والتربـص لحركاتهـم وسـكناتهم، والتلصـص علـى آهاتهم،والنصـب علـى أحلامهـم لاجتثاثهـا مـن عيونهـم والكيـد والصيـد فـي ميـاه اليـأس الكـدرة بمـا تلقـي فيهـا مـن طعـوم الاحتيـال والنميمـة...

وذكّرنـي يـا امـرؤ السـوء(بـلا ضغينـة) بمـا فعلتـه في(حياتـك) ويسـتحق الذكـر....

هـل رحمـتَ يتيمـا؟؟ اسـأل أولئـك الأطفـال اليتامـى الذيـن كنـت تسـتغلهم فيمـا يصعـب مـن أعمـال ومـا يشـق مـن مهمـات ،ومـا كان عمرهـم يواتـي هـذه وتلـك ولكـن الجـوع كافـر وأنـت أيضـا....

واسـأل دموعهـم وبخلـك، حيـن يتسـولون أجرهـم

وتبخسهم حق الدم والعرق....واسألهم هل وفيتهم حقوقهم باقتطاع ثمن لحظة غفلوا فيها عن حاجة لك ليقضوا حاجة لهم ضرورية كما تدري وتعلم.....لكنك لم تكن تريد أن تدري أو تعلم....

هل وصلت قريبا؟ لا أحد ذكر أنك كنت إلى جانبه في يوم من الأيام لا في مأساة ولا في ملهاة لا في عيد ولا في غيره....نسألهم فيصدُقون.. شرُّك واصلُهم دون خيرك الغير موجود أصلا وأذاك ارتبط برابط قربى معهم لم ولن تنفك وشائجه إلا بموتك أو موتهم.....

هل زرت أهلا؟ إلا لتؤذيهم وتعمق خلافك معهم وتوطد أواصر الفرقة مع رحمهم...

هل أطفأت غُصَّة؟

و من يشعل حرائق الحقد إذا فعلتَ ذلك ومن يلهب ألسنتها التي تطاول السماء...من يستمتع بلهيبها يحرق غيرك فتنتشي لصرخاته وترقص على عذابه....

هل أطلقت يديك يوما لغير صدرك؟ وهل بسطتهما لغير نحرك؟

منذ عرفك الدهر وهما مغلولتان إلى عنقك .....

وتقول صديقتي الحميمة..أني أكتب بضغينة.
وسأقول لها أنني أكتب بصدق، ربما يكون بينه وبين الضغينة شعرة قربى أنا لم أنتبه إليها....وقد يكون بينهما رحم وولادة أنا عنها في غفلة،لكنني أكتب بيقين أنني لم أفعل ولم أقصد ما قالت صديقتي...
إن كان يجب ألا أكتب كي لا أكتب بضغينة فكيف أنفث قهر جبنك إذن؟؟ وأنت شيطان أخرس تركن إلى التواكل ،تستأنس بالخذلان وشعارك أنا وبعدي الطوفان... وكيف أنتفض من الصدمة التي أفقدتني ما يجب أن أكون عليه من اتزان....
وأنا أكتب بضغينة تقول صديقتي الحميمة
من يغسلني من فيض الوضاعة التي وجدت نفسي انجررت إليها حين درتُ في فلكك مغلوبا أمري...
من ينقيّ السواد الذي دنس أعماقي وهل أستطيع أن أنبش فيه مقدار رأس إبرة ينبجس منه نور أرى به نفسي؟؟ أنا التي تناثرتُ في سفح سقوطك المريب....
أنا التي شربتُ العدم من عدمك .....
قريب أنت... سأسميك قريبا لأنك كذلك فأنت القريب

من الموت القريب من الخيبة القريب من الندم القريب من العدم....

هل أكتب بضغينة عندما أصرخ من قهري أنك أجبن من فأرة وأبخل من قط..وأقسى من وحش....

وسأكتب بضغينة كما قالت صديقتي إذا استطعت أن أفضح خسة تتوارى في النفاق وذلة تختفي وراء الغرور وسقوطا فاضحا تحجبه شيبة وهيبة وأنا لم أعد أشعر نحوك بشئ سوى بالاشمئزاز ومع ذلك تقول صديقتي الحميمة أنني أكتب بضغينة....

ولن أكتب بضغينة وأنا انفض قليلا مما نغصتَ به أيامي وأيام الآخرين وكدت أقتنع برأي صديقتي وهممتُ أن أتوارى وراء مثالياتي... حتى لا يقول عني آخرون ما قالت عني صديقتي... وهممت بتمزيق أوراقي لكنني تراجعت وأدركت نفسي وأنا أسمح لها أن تكتب بأي شكل كما أقنعتها أن أهم شئ سنفعله أنا وهي هو أن نكتب فقط..... ولن أسأل عما يستنتجه الآخرون أنا التي شربني قهرك لن أستطيع أن أكون ملاكا وسط بشر من طين ووحوش

قاهرين.... ولا أستطيع أن أعفو فأنا بلا مقدرة....ولن أستطيع أن أسامح ولو كان المسامح كريما....ولن أتظاهر بأنني أستطيع ما لا أستطيع ولا أحد يستطيعه.... فهل استطعت أن أثأر لنفس سوى بقلمي؟؟ أفأُحرَم من الكتابة أيضا كي لا أكتب بضغينة، ودائما بسببك يا كاتم الأنفاس،وبدل أن نعري الظالم نضغط على المظلوم لكي يتسامح ولا يحقد؟؟؟ولا يكتب؟؟؟ أنا لا أستطيع أن أعيش طوال حياتي وأنا أحمل هذا الكم الهائل من القهر دون أن ألفظه على الورق خوفا من أن تقول صديقتي عني ما قلتُه لكم فهل ترون أني أفعل؟؟ إن كان نعم فوداعا يا قلمي.....

امرأة وأخرى

إياكِ..ثم إياكِ....أن تقتربي مني ولا تحاولي أن تكوني مثلي ..

الكون لم ينفرج إلا عن ابتسامة واحدة حزينة تتكرر على شفاه البعض من بنات حواء، كما لم يفترسِنّه إلا عن ضحكة مجون واحدة فقط تتوالى مثيلاتها عند بنات آدم.....

آدم الذي أخرج (حواء) من جنة الله ليدفنها في أخطائها وخطيئتها؟؟

رغم أن الكتب المقدسة تقول عكس ذلك...وقد حمّلَتها خطيئة النزول من الفردوس،و معايشة شقاء الأرض...

لا يهم من أكل منهما من الشجرة المحرمة أولا، والمهم أن كليهما نزل على الأرض لكي يقترف أبناؤهما مزيدا من الخطايا ويرتكبون مزيدا من المعاصي، بمباركة من الغوي الأول....

لا أعرف ظالما ولا مظلوما في قصة التفاحة التي التصقت بين أوداج آدم فما ابتلعها ولا اقتلعها،...لكني

أعـرف أن حـواء غرقـت فـي خطيئتهـا وخطاياهـا بـلا تفـاح ولا فاكهـة ممـا يشـتهون...

وحيـن كان الكـون يسـتعد لحمـل هـذه الخطايـا، كان آدم يجـري ويلهـث مـن أجـل أن يسـتنبت علـى الأرض جنانـا أخـرى تليـق بمـن وهبتـه البنـون وحرمتـه الخلود....لكنـه فـي جريـه ولهثـه صادف أخـرى جنـتْ بيديهـا كل الخطايا ومعهـا الهدايـا التـي سـال عـرق آدم وهـو يبذرهـا فـي ذرى الكـون الكبيـر... ولازالـت حـواء الأولـى تنـادي.....

يا امرأة الخطايا

كانـت خطيئتـي عذوبـة الكـون ورقتـه وعنفوانـه وبكـوره اللذيـذ وكانـت زرعـا يعجـب الـزراع انتقـى بـذوره مـن كنـان الجنـات المعروشـات وحصلـتُ علـى الصفـح بصـدق التوبـة لكـن خطيئتـك حملـت بـذورا مـن تـراب وطيـن وسـتظل كذلـك فمـا اسـتطاع مـاء الحيـاة أن ينقيهـا رغـم أنـه يسـقيها ويحييهـا.

يا امرأة الضلالة

يرجـف الكـون(لزلزلـة سـاعة) أخرجـتْ فيهـا نفسـك أدرانهـا.... و قلـتِ أنـتِ مالهـا؟ فقـال الكـون أنـك مـن

أوحـــى لآدم ولهـــا وأنـــت مـــن عصـــرتِ مـــن الأجـــداث ماءهـا.... وتحملين الآن أثقالهـا..... فاولغـي فيمـا يخـرج مـن أشـتات ...تريـد أن تطمـس أعمالهـا، ومـن لقـي مثقال ذرة فقـد سـعى لهـا...

يا سيدة الغواية

اركبـي غـرورك عندمـا تطلقيـن ضحكتـك الماجنـة أمـام بـراءة حـواء الأولـى وهـي تبحـث عـن آدمهـا فـي فيافـي الحيـاة و أكنـان الجبـال، ثـم لتلقـي بـه بأعمـار الغابريـن والقادميـن ليلتصـق النصفـان بـلا نـور ولا دليـل فقـد استويا بماء الجنان وتفتحا في فراديس الديان..

لـم يكـن فـي الجنـة السـكين؟؟؟ فمـا حاجة حفيـف الأوراق للصرير؟؟؟

وما حاجة السواقي لغير الخرير؟؟؟

ولأنـك يـا سـيدة الغوايـة لـن تدخلـي جنـة بآلـة حـادة وراء ظهـرك... فإنـك سـتغرزينها فـي قلـب امـرأة كل حيـن وحيـن، المـرأة تحتـرف التضحيـة والتفانـي وتتعبّـد فـي محـراب الأمومـة ولهـى بالقطـوف الدانيـة فـي بسـتان حياتهـا الملـي بالأشـواك...،لقد جـفّ ريـقُ عمرِهـا

وبـح صـوتُ حياتِهـا والتفتـت حولهـا فلـم تجـد سـوى الفراغ.....والفراغ.....والفـراغ.....

قلـب آدم كان خاويـا علـى عروشـه لكنـكِ كنـت ثاويـة علـى تلّـه الخـرب ولاتفـاح فيه.....تمتصيـن جمـر الحيـاة وطعمـه اللاهـب بإصـرار غريـب.

يا ابنة الجحود

هـا أنـت تسـتوين علـى سـفينة أخـرى تاركـة تلـك التـي أصابهـا عطـب الدهـر تتقاذفهـا الأمـواج العاتيـة وسـط بحـر الحيـاة المتلاطـم.

ألا تدركين أنه مصيبكِ ما أصابها ذات غدر وخيانة؟؟

ألا تدركيـن أن مـن أخطـأ مـرة سيخطئ أخـرى فـلا واحد بـدون اثنيـن ولا اثنـان بـدون ثلاثـة وسيتم الدفـع مـن الـدم والروح.....

ألا تدركيـن أن مـن اغتـوى منـك سـيغتوي مـن غيـرك ذات سـقوط...

امرحي في أحضان من صنع الفجيعة والدموع.....

اضحكـي ضحـكا كالبـكاء فـي جنـازة حـواء التـي ستُدفن فـي بحـر تترامـى أطـراف خداعـه.....

لكـن تذكـري أن البحـر مـازال لـم يكشـف عـن أسـراره لأحـد.....

وأن لغز التفاحة سيبقى ما بقي آدم خارج الجنة.....

يا رجلا من جليد

لا زال حبك يتركني على عتبات الشهوة دون أن يفتح لي بابها لكي لا أقتحم خلوتك وأنت ترتشف خمورك المعتقة في أكواب من هواء..ولا زال هواك يُقيم طقوسه في غير خيمتي..ولازلت أراك كما أنت تحت أقدام السقوط... تبحث عما جد من بقايا الانحراف ....

عندما اقتحمتَ عالم طفولتي كنتَ أكبر عرائسي وأحبها إلى. عبثا حاولتُ احتضانَك ، برودتُك كانت أكبر من لهفتي فكنت أدحرجك أسفل سريري كي لا تبتل مشاعري بسقم لامبالاتك وتخمتك .

أنا من وقفت لك في مهب رياح الغرور فاقتلعتْني عاصفتك من جذوري، وحفرتُ في بئر أسرارك فابتلعني قعرها...وجرفني نهرها الذي لا يكف عن المسير .... لكن باتجاه معاكس للمنطق والأشياء

يا رجلا من جنون

قلمي صوفي المذهب وأنا متبتلة في محراب النسيان أو التناسي... لكى لا أتحدث، وأفضح ما استتر من

فجيعتـي الفاضحـة فيـك وأعـري مـا تحـت السـتر مـن سـقطاتك التـي لا تشـبه السـقطات.....

لكنـك دخلـت صومعـة أوراقـي وعبثـت بأشـيائي وأشـلائي علـى الـورق وفضحتنـي حيـن رميـت بهـا فـي سـلة جنونـك، وجعلتهـا مـلاذا للعبـث والاسـتهزاء....

عبثـا حاولـت إنقـاذك مـن شـياطين هـواك بعـد أن تأكـد لـي أنـك مـن تلقّنُهـم الأهـواء ويتعلمـون عـل يديـك فنـون الإغـواء ، وتقاليـد الأبلسـة.....

خيمـة الغوايـة التـي شـاهدتْ أيـة دعـارة وقّعـتْ مجيئـك إليهـا احترقـت بمـا فيهـا لكثـرة المعاصـي، ولازال كبـار الحـي يلتفّـون حـول أحاديـث المجـون التـي عمرتهـا قبـل أن يدركهـا عقـاب السـماء ودهشـة الأرض....

ليـس غريبـا أن يحتـرق لحـم السـموم فـي نـار الجحيـم، إنمـا الغريـب أن يقبّـل المـاء جـذوة النـار ولا يطفئهـا وأن تمـوت الفضيلـة بخنجـر الخطيئـة ولا حـرّك الشـرف سـاكنا فـي دسـاتيره التـي يبـدو أنـه قننهـا لغيـرك ليـس غريبـا أن ترقـص ألسـنة اللهـب محتفيـة برمـاد الفضيلة، لكـن الغريـب أن تحتمـي الفضيلـة مـن الرمضـاء بالنـار وأن

تنتحر في أتونها مخلفة رمادا من بقايا الانصهار....

يا رجلا من عدم

حين حملت بجنين أفكاري توقعت أن تجهض عقلي، وأن تجتث روحي وتحرقهما لكي تأخذ الرماد وتنثره في مهب العدم ، ولم تكن تدري أن العقول والأرواح لا يطالها الإجهاض ولا تستطيع االمشارط أن تصل إليها لأنها مصنوعة من هلام طائر غير منظور يختفي في ذرات النور ويتستر برحابة الملكوت..... وما كنت تعلم أن مكاني أيضا أصبح غير منظور لأنه استقر بين ثنايا الحروف يعزف ألحانها المنفردة على أوتارها، المشدودة إلى القلب...منذ أصبحت أبيت في خيمة الحكي والشعر وأنت تنصب لي سهام التربّص لكي تقطع في الليلة الأولى ما بقي من الألف ليلة وليلة....وما كنت تدري أن شهر زاد لم تعد تحترف الحكي بعد اكتشاف المنوم...وأن شهريار أصابه الملل من النساء...ومن حكايات شهرزاد أيضا...ووحدك مازلت تؤرخ للخرافة وتهلل لزمن مضى لم يجد مكانه أمام طوارئ الحياة ها أنا أغادرك في بوحي

وأعريك من دثاري وأخترق صمتك القاهر لأصرخ في وجه العواصف والثلوج كن كما أنت يا رجلا من جليد فأنت في ذاكرتي الآن عدم نسجتُ من لا وجوده خباء لعزلتي يشبه ذلك الذي أدرك الصباح فيه شهرزاد ولم تكمل الحكاية بعد...

الهوى والصقيع

كم أنت طيب وكريم أيها القلب المعنّى بمن لا يستحق، أنت تريد أن تغفر له حتى وهو لم يطلب الغفران وتريد أن تصنع غروره من ذوبانك في هواه... عندما تصنع له عرشا في سويدائك وتمده بصولجان الفؤاد، وأنت تعرف أنه لازال يمضي في الخطيئة بقدم وساق، يتسابق معها فيسبقها وتسبقه ويلحقها وتلحقه وأبدا لا ينفصمان....لقد ألفها وألفته حتي لم يعد أحد منهما يذكر أيهما الآخر....

آه أيها الشهيد

لا تزالُ تعتصرُ وتقطرُ دماءك في أغوارِ الرّوح، ولا تزال تنتفضُ في قفصِ العذاب، كالطائرِ الجريح ولا تزال تلتوي كالذي تعرّض لأذى أفعى سامة، ولا تزال تُنظر نظرة إشفاق من هذا الذي أجهز عليك ذات فتنة وهوى... ومع ذلك فأنت تريدُ أن تجودَ بما بقي من رمقِك لمَن سلبك الراحة وأسقمك بالظن وسلبك الحياة...و لولا العذاب لما كان لك شبه وجود....

وجودك كان ولا يزال في إهماله وعذابك.

أيها المتفاني

لمــاذا تقيــمُ فــي أصقاعِــه البــاردة تحتــرفُ الارتعــاش والجنــون ؟وتركــن إلــى الخيبــة وكأن الهــواء بيــد مــن هويــتَ والشمس ملك يمينــه والقمر من مقتناياتــه، وكأن القلــب بيــده وقــد قلبّــه عــن هــواك وثبتــه علــى هــواه أىّ سِــحرٍ أســود ازدردتَّه،وبــأي التمائــم أحــاط فكــرك وإرادتــك فاعتكفــتَ فــي محــرابِ الخضــوع والعبوديــة لجلالتــه ومــا هــو إلا بشــرا مثلــك،كان ولازال يصرعــك بصلفــه وغــروره، ويزدريــك بمجونــه واتبــاع هــواه أى تلمــوذ حفظــتَ فمــلأ روحــك بمــا وراءهــا مــن المكنونــات ؟ واستلب مــن قوتــك إرادتهــا ومــن فكرك نهجــه القويم؟؟ مــا لــذي قيّــدك بأغــلالِ الخُنــوع فمــا عرفــتَ بعدهــا غيــرَ استســلام الــروح تنتظــر إســلامها إلــى مــن بيــده ســلبُ الــروح وبعثهــا...

كــم أنــت طيّــع يُقلّبــك الهــوى بيــن أصابــع إهمالــه ولامبالاته...ويرمي بك بعيدا حيث لا حول لك ولا طول كم أنتَ هيّن تنتظرُ أمام باب رحمته التفاتة من جنابِه

وجنابُـه يصفـق أبـواب العـذاب فـي وجهك فكيـف بالرحمة أو الحنان؟

كـم أنـت خنـوع ترضـى بالتوبـة فـي وكْـر معصيّتـه، واستحضار ذكرك فـي خلـوة مجونـه استقمتَ فـي هـواه فمـا قـام أمـام سجودك، وركعتَ فـي محرابِـه فمـا استقامَ أمـام خشـوعك..وآمنت بـه فكفـر بـك وكفـرت بغيـره فآمـن بغيـرك...

دانُـه وديدنُـه هـواه وغـرورُه ودانـك وديدنـك هـواه وخنوعك....فمـا كففـتَ غـروره ومـا كففـت عـن هـواك فـي هـواه.

أيهـا المتفانـي فـي عشـق المتصابـي لا تزال فـي إخلاصك الأغبـى ولا يـزال فـي صلفـه الأعمى .

نزفـتَ علـى عتباتـه فـا زدراك وانقضـى العمـر ومـازال لـم يجذبـه شـئ مـن هـواك ألـم تـدرك بعـد أن مـن تـراه لا يراك ولن يراك ؟؟؟

امرأة الجحيم

كم وددتُ أن أحذف كلمة(أنا)من كتاباتي حتى لا أضيع في متاهاتها وحتى لا تعيقني عن الانطلاق إلى رحاب الآخرين لكني أجد نفسي مضطرة إلى استعمالها وإن لم أفعل فسأعوضها بما يدل عليها من الضمائر وبذلك لن أتخلص منها حتى لو أردت، فهل أكون أنانية أن لفظت بعض القهر هنا على الاوراق.

كرهت من معاناة الأنا في ذاتي التي تحترق يوما بعد يوم،وكلما نفثتُ سم العذاب وعدم الرضا وجدتُ من يقف كالسّد... أمام الزفرات وأعتقد أن الجدران التي تقف أمامي سأُصلب عليها دون أن يتيح لي الجلاد النطق بالشهادتين لأن سيعتبرها اعتراضا على حكم الخالق....وقد يجدني أنانية و(أنا) أقول آه عند الألم وهكذا يا امرأة الجحيم لم أكن لألوذ بملاذك ولو كنت تعرفين أي ملاذ شملني بذلك الدفء الذي تعجزين عن إدراكه ولو كنت تستطيعين ذلك لما كنتِ هكذا تفر القسوة من مجالك فاسحة لك دورها وهي مطمئنة أنك ستتقنينه أحسن منها..

أنـت حجـر عثـرة فـي طريـق الحيـاة و (أنا)عرفـت مـن خلالـك أن هـذا المخلـوق الرقيـق قـد يكـون صلبـا وقاسـيا إلـى درجـة لا يقـدر عليهـا الرجال...فلقـد بحثـت عـن ذرة مـن ليـنٍ فلـم أجـد سـوى حجـر صلـد غسـلته الأنهـار ولـم تنـقِّ سـوى مـا علـق بـه مـن غبار....لقـد عرفـت القسـوة مـن نظرتـكِ القاتلـة، وعرفـت الكبـر والصلـف فـي لفتاتـك المقيتة،والكـذب والنفـاق مـن كلماتـك التافهـة التـي تنبـئ عـن عقيـدة ضحلـة وإيمـان ضعيـف وريـاء فاضـح تسـتطيعين خـداع الجميـع سـواي وأنـت تعرفيـن ذلـك وتعرفيـن لمـاذا.. ومـع ذلـك فلـن أنحـتَ فـي صخرك ولـن أتسـلق سـلم مغامراتـك الغريبـة والفاشـلة.....ولقد عرفـت منـذ بـدء البـدء أن ليـس لـك مـن المـرأة سـوى الخَّلـق والتكويـن وماعـدا ذلـك فصورتـك فـي ذاكرتـي لـن يسـتطيع قهـري تصوريهـا ولـن تطاوعنـي لغتـي ولـو طاوعتهـا ولـن أفعـل... لـن أرسـم صورتـك علـى أوراقـي حتـى لا تشـوه مابيـن السـطور ومابيـن النقـاط والفواصـل، سـوف تخلقيـن بسـمومك لغـة لا جمـال فيها....واسـتحي مناداتـك بـأى لفـظ سـوى امـرأة الجحيـم....

يا امرأة الجحيم

لا أقصد الجحيم الذي تحدثتْ عنه السماء ولكني أقصد جحيمي الذي أوصلتني إليه بكيدك وأستحي من نفسي أن أقول عنك سيدة أنت من عبدتِ أناك ومكائدك وعرفت ومن البداية أنك أحلتني على بحر لجي ليس فيه من الألفاظ سوى الصخر القاسي ،الجلد الصلد الذي لا ينكسر ولا يلين بأية قوة سوى قوة الموت... وهاأنت كما أنتِ كنت ولا زلتِ لا تصلحين إلا لأنانيتك وأثرتك وقسوتك وجمودك...وها أنت كما أنت تنظرين إلى الناس من عل وتسدين مناخرك وكأنك الوحيدة التي لم تخلق لا من نار ولا من طين... هاأنت كما أنت تهرفين بما لا تعرفين تذرفين دموع التماسيح على مصائب الآخرين وقد ظهرتْ على وجهك نيران الشماتة والتشفي التي تلهب صدرك الظامئ إلى الشر.....أنت لغرورك تعتقدين أن الدنيا لم تستقم لسواك، لأن الشياطين تلبست خلاياك وسرت في دمائك وطمست عيونك عن رؤية عيوب ترفلين في سوادها وربما لا تعلمين ولا أعرف إن

كانـت سـعادتك فـي سـاحتك الفارغـة وأيامـك البـاردة ولياليـك السـوداء ...

لا أدري هـل تريـن ذلـك الفـراغ المهـول حولـك وذلـك الجمـود فـي أفنيتـك وذلـك الصمـت فـي سـمائك ولا أعـرف كيـف خلقـتِ مـن كل هـذه الأزمنـة الجنائزية فرحا وسـعادة رحـت تسـتمتعين فـي مقبرتهمـا المليئـة بالصمـت

يا امرأة الجحود

جحـدتِ عندمـا أحطـت نفسـك بالقداسـة ورحـت تظهريـن وقـارا لـم ينطـل علـىّ أنـا التـي أعـرف أن الخسـة والنذالة تهربـان مـن دناءتك...هاهـي بـوادر الخواتـم تلـوح علـى أعتابـك ومـازال فـي جرابـك الكثيـر مـن السـوء ممـا تغدقيـن بـه علـى خلـق الله ولازلـت تنزويـن فـي حقاراتـك وتنغمسـين فـي سفاسـف الأمـور بينمـا تدّعيـن الزهـد والفضيلـة وتحيطيـن نفسـك بقداسـة تعرفيـن زيفهـا وأعـرف ذلـك وتعرفيـن أننـي وحـدي مـن لا تسـتطيعين خداعهـا لأننـي كشـفت السـتار عـن زيفك فـي بـدء البدء...

حيـن هبـت العـذارى بجرارهـن الجميلـة يحلمـن بملئهـا بكنـوز الصبـا ومآثـر الشـباب كنـت تنزويـن فـي القـذارة

ترتشـفين خنـا الأشـياء وقذاها...ولقـد رأيتـك تتمرغيـن فـي مـا أسِـنُ مـن الرواكـد و اتسـخ مـن المجـاري فـكان أن لبسـتك تلـك القـذارات ولـم تعـد رائحتـك تزكـم أنفـي فحسـب بـل وصلـت إلـى حيـث زكمـت أنفـك أنـت أيضـا دجلـك طـال وأطـال عمـر احتقـاري لـك وبشـر بذُلـك وعـارك و(أنـا) إن كنـت لا أملـك لك من الأمر شـيئا فإنني سـألوذ بأسـتار نفسـي وكعبـة روحي لأصـرخ بملئ وجعي يـا رب سـل هـذه فيـم دمرتنـي؟ فيـم دمرتنـي؟ فيـم دمرتني

بلقيس

اسمك يُغري بالجمال والشعر الحريري الأشقر
يُذكّر بالشّعر والسفر في جزائر الكلام
يذكر بنزا ر وأماسي الأحلام
;الأغاني الجميلة
والعزف على أوتار الحنين
ويذكر بأطواق الياسمين تتضوّع بياضا وأشواقا
بلقيس
تذكرين ذلك المساء الحزين.والشتاء يعتصر دموعا تتهاطل أمام نافذتك المغلقة.. تتأملين الصفصافة العجوز التي تحجب النور عن قلبك وهي تنوح في صمت تذكرين عندما سمعتِ صرير الباب يفتح بقوة ...يدخلُ ومعه كل العاصفة...نقلها من الكون الحزين إلى فؤادك الدامي بالهواجس والرياح الصقيعية تذروه شذرات مسنونة ترعش روحك التي أسقمها الأسى وتعل قلبك الذي أدماه الهجران حزين فؤادك دماؤه

تبعثرت في شتاء رمادي حزين.
حزين فؤادك أشلاؤه تُحرق بمظنته.
عجوز أنتِ تقول شفتاه.....عيناه....يداه....ورفيقته.
عجوز أنتِ يوقّع هو وهي مصيرَكِ بأمر من الخطيئة.
الخطيئة التي بدأت عندما تخلى عنك بأن زرعَ لك في منعطف العُمر لغما أعثرك فيه بأسهل مما كان يتصور....
بدأ حربا اعتقدها ضروسا إلا أنك لا تؤمنين بالحروب أجل أنت لا تؤمنين بالحروب كما الملوك ولم تضعي لها في سِفْركِ أيّ عنوان.
عنوان؟؟
كان مكتوبا على الظرف يا بلقيس؟؟ عنوانك
و اسمكِ يا بلقيس....اسمك أيضا
الظرف شُقّ بافتعال كما في مسلسل ردئ
الخطاب يُتلى بلهفة مفتعلة
والحبّ يطرق أبوابك يا بلقيس
هل يلتقي الحب مع أشواك الصبّار؟؟
جميل شعرك الأشقر يا بلقيس
ونزار مبدعٌ وهو يسرّحه في قصيدة

هاهي تصبغ براءتك بخطيئتها.

لئيمة هي عندما لجأت إلى تهمة تشبه الإدانة.

إدانة بلا شهود.

فمن أين نأتي بأربعة؟؟

بلقيس

استطاع أن يسلّمكِ خطابها أو خطابهما.

لم ترتجف يده المشلولة بالبهتان.

رائحتها تنبعث من الظرف..عطرها الرخيص بين السطور.

أحمر شفاه ردئ يسجل النقاط والفواصل بين الكلمات السقيمة بالخبث.. العليلة بالغيرة والحسد...بينما أنت تكتبين بالسواد آهات القلب على صفحة الروح التي مزقها التشظي.

بلقيس

نفثت الحية سمّها في دمائه...أسقمته بفحيحها....قدماه لم تعودا تحملانه وأصبح مثل رفيقته من الزواحف؟؟؟

رشّت صدره بذرات مركّزة من أسقامها العفنة فما عاد يعبأ أن يعب هواء نظيفا تتمايل به نسائم الحب

وبشائر الوداد كل صباح
هو الآن ينظر بحَّولها
فرآك (بلقيس) للحظة
وأيـن الشـعر؟ونزار؟ وأيـن صبـاك الـذي تبعثـر فـي محـراب أنانيتـه؟؟
أيـن جمالـك الـذي ذوى ولـم يتعلـم منـه سـوى التعلـق بالقبـح والنشـاز؟؟
أين عفافك الذي قدّمتِه قرابين لغروره.
ذكّريـه يـا بلقيـس كيـف تخليـتِ عـن معتقـدك وسـجدت لـذاك الغـرور.
ذكّريـه يـا بلقيـس عندمـا كانـت الشـمس بيمينـك والقمـر بيسـارك وكان ذا متربـة وذا مسـغبة لـن تفعلـي يـا بلقيـس لكـي تظلـي ملكـة علـى الزمـان الجميـل ويبقـى أسـيرا فـي زمـان رفيقتـه المريـر.

بلقيس

وقعت رفيقته فبصمَ وراءها بغباء
أما كان يدري أن اسمك رمز للبراءة؟؟
أمـا كان يـدري وهـو يؤمّـن علـى قـرار رفيقته أنه باسـمك

تُختـم الطهـارة ويُقضـى علـى الإفـك حيـن يرتفـع فـي عصمـاوات تزلزل روح الشـعر من عـكاظ إلى عكاظ.....
حيـن يسـمو فـي لوحـات الجمـال تتـرى فـي معـارض الحـب والعفـاف حيـن يُتلى بعـد التطهر بالنور والاغتسـال بالزهـد والتطيـب بالفضيلـة.
بلقيس يقول
لكنـكِ لا تؤمنيـن بـأن مـا لـم يـدم لبشـر سـيدوم لـكِ أو لهـا أو لـه وأنـت لا تؤمنيـن أن السـنين تسـتثني المتصابيـن ولمـاذا سُـموا متصابيـن إذن؟؟
لكنـك تفاجئـتِ وأنـت تريـن قصـر النظـر وحولـه يتـركان قصـرا فـي العقـل وحـولا فـي الضميـر.
بلقيس
لازال المطـر ينهمـر علـى الصفصافـة العجـوز ولازالـت الريـح تنـوح بيـن أغصانهـا وهـو يفتعـل عاصفـة يحـاول جرهـا إلـى مملكتك...لكـن... وقفـت العاصفـة عنـد أسـوار مملكتـك العاليـة والأعـلام ترفـرف فوقهـا وفـي رؤوسـها نيـران شـديدة لا تطفئهـا الريـاح ولا العواصـف نظـرت العاصفـة بدهشـة إلـى فـؤادك الدامـي وهـو ينتفـض علـى

العـرش لكنــه متمســك بــه ولــن يســمح لــه ولا لرفيقتــه احتلالــه إلا أن يقعــا علــى الدمــاء والدمــاء.

بلقيس

والمملكة التي انشأتِها من صبرك وقهرك والمر من امرك بنيتِها من أنفاسكِ وشهقاتك وزفراتكِ وليالي السّهادK

هــي مــن وهنــك وضعفيــك مــا فصلتهــا ومــا فصلتــك لا قبـل عاميـن ولا بعدهمـا اسـتعنت بالدهـر فـي عجـن طينتهــا وصبغتهــا بخلــود الزمــان وتعاقبــه

بلقيس

تدركين أن معركته خاسرة هو ورفيقته لأنكِ بلا سلاح

سلاحكِ دماء متناثرة تستعصي على القتل

تأبى أن يتخلص منها الآثمون أمثاله وأمثالها

بلقيس

تعيـرك رفيقتـه بالشـيب وليتهـا عيرتـك بمـا هـو عـار فمـا كنـت عجـوزا إلا لأنـك كنـت ذات شـباب

شـباب أثمـر زهـرا ليـس كمـا الزهـر لأنـه نبـت فـي القلـب وروي بمـاء الفـؤاد ومملكتـك لـن تـزول لأنهـا كتبـت اسـم وريثهـا فـي الكلمـات وفـي الملكـوت وتذكريـن الظرف

واسـمك المكتـوب بحـروف الجبـن وكلمـات الخيانـة
والمسـاء الرمـادي الحزيـن
والصفصافة العجوز(مثلك) والريح تنوح بين أغصانها
وداعا للصفاء
وداعا للبراءة
وداعا لما كان
العاصفة لا تزال تزمجر أمام اسوارك
هو ورفيقته يرتجفان انتظارا
يرتجفان لؤما
لكنهما يصران إصرارا
وأنت بلقيس وأنت بلقيس وأنت بلقيس

ظلُّها

وتعـود الريـاح تخلخـل مـن جديـد كيانـي الهـش والـذي جعلتـه كذلـك منـذ التقينـا ذات قـدر...

حياتـي تتسـابق فيهـا الظـلال خلفـي وأمامـي وأنـا حيـرى أيهـا أسـتطيع القبـض عليـه

وهل من مجال للقبض على الظلال؟

إنهـا هنـا أمامـي أراهـا بوضـوح وهـي تجسـد حقيقـة مـا فـي مـكان مـا لكـن مـن يصـدق أننـي وحـدي أراهـا؟

أسـقمني ظلها في عينيك في شـفتيك في سـهومك وشرودك فــي إهمالك..فــي اليــأس الــذي يطبــع أيامنــا...و ليالينــا مــرة هــي أيامــي وقــد صبغتهــا الهواجــس والهواجــس هواجـس اجتهـدتَ أن تجعلنـي أغلـق عليهـا ضلوعي لكنك لـم تفعـل أدنـى شـئ كـي تقتلـع صورة(الحقيقـة) التـي تتجسـد ظـلا أمامـي أسـقمني ظلهـا يسـتلقي بيننـا وأنـت تديـر لـي ظهـرك وتحتضنـه فـي أحلامـك أسـقمني ظلهـا وأنـت تتعطـر مـن تلـك القـارورة التـي جاءتـك هديـة منهـا لم يعد صورتها تشغلك وحدك أنا أيضا أصبحت

منبهرة بها وبقدرتها على حبسك رهن إشارتها أكانت جميلة؟؟ كنت سلمت أمري لخالق الجمال لكن العين تأنف من النظر ليها والقلب ايضا أبدع الخالق في تجسيد صورة للقبح والنشاز واللاجمال في خِلقتها أكانت غنية؟؟ بلى بلذات مترية وعار تستدني من العادات خشاشها ومن الطباع أخسَّ كي تحصل عليه وأنتَ كنت أحد مصادرها بما في يدك من عسل السلطة ومع ذلك فأن أسال ما لذي أغراك بها ؟ وأنت تغري؟ وم وددت أن أعرف سر الظل وأدفع ثمن ذلك عمري يا من جعلتَ ظلها يسخر مني يركبني ويدفع بي إلى حافة الجنون والانهيار يا من جعلتَ ظلها يقض مضجعي ويجعلني أهذي وبيني وبينها صمتك وظلها

مرة هي أيامي منذ صبغها ظلها بالسقم

علقم هي أحلامي منذ احتلها ظلها بالكوابيس

يا أسقاما كنت وكان ظلها

أسقمتني حين جعلتني أصارع ظلها وأدفق قوتي كلها في عصي تنهال على الريح

أسـقمتني حيـن وجدتـك تلتـوي (كمـا ظلهـا) وتبتسـمُ تلـك الابتسـامة السـاخرة التي لا تشـبه سـوى المرارة والمرارة
أسـقمتني حيـن وضعتنـي فـي صـراع مـع(الخيـال) وأنـت تضحـك مـن جنوني باسـتهتار
يشهد الله أني لست على ضلال لولا (ظلها)
يشهد الله أني لم أخلقه من العدم (ظلها)
تشهد الملائكة أنه عن يميني مقيم وعن شمالي
يشـهد النـاس أنـي(أسـقاما) أعـبّ أسـقاما أعيـش أسـقاما أشـهق وأزفـر ويشـهدون أن العمـر ضـاع فـي أوهـام) عـل منهـا ظلهـا حقيقـة قاتلـة
يا قدرا كنتَ وكان(ظلها)
أجهـزتَ علـى مشـاعري وأنـا أراك تلتـف حـول أخيلتهـا الكثيـرة خيـوط هـي ظلالهـا تتشـابك بيننا وتلتـوي وتجعلك لسـت أنـت ولا تمـت لنفسـك بصلة...تجتهـد فـي البحـث عـن ألفـاظ صِـدْقٍ تكذّبـك بنظـرة منـك ونظـرة منـي تلتمـس أعـذارا سـرعان مـا تـذوب كخيـوط العنكبـوت مالـك أنـت والكـذب؟ مالـك أنـت والأعـذار ؟ وظلهـا يقـول كل الحقائـق .

حقيقتي..... حقيقتك..... حقيقتها.....

قُل إنها التوَت عليكْ كما التوى عليّ ظلها

قل أن خيوطه سلاسل تؤذيك وتؤذيني لكنك لا تستطيع فكاكا ولا أنا

قل أنها اقوى وأننا أنا وأنت لا نستطيع إفلاتا لا من الظل ولا من الصورة

قل أنك من ضعفي قويتَ ومن قوة ظلها ضعفتَ حتى لا تكاد تطهر أو تبين.

قل أنك كما الجميع تنزوي حيث النزوات وأنك تسكين حيث يريد أمثالها.

وسأقول أيضا

سأقول:

أنني أخطأتُ حين رميت كل أسلحتي أمامك واعتقدتُ أن الحُب وحده يكفي لخوض غمار الحياة.

أخطأت حين غُصْتُ في الكتمان والحرمان.

ولا زلت أخطئ وأنا أُعلي لك في نفسي منارة وأحلم أن تهتدي إليها حتى لو كان ظلها هو من يقودك وربما يقودني أنا أيضا.

لولاك يا ولدي لولاك

كـم يلزمنــي مـن الحـب والحـب يـا بنــي كــي أدغـدغ مشـاعرك الجميلـة فتتدفـق علـى ليلـي السـاجي وتترقـرق فــي ظلامــي الداجــي تفيـض عليهمـا رفيفـا مـن حنـان لا يقهـر النفـس سـوى إجبارهـا علـى الخضـوع لمـن لا يسـتحق إكرامـا لمـن يفتـدى بالأمشـاج والـروح

بني يا حشاشة روحي

قبـل أن تكـون مـا كنـتُ أعـرف أنـي امـرأة مـن عاطفـة تسـع الكـون ومـا فيـه ولـم أكـن أعـرف أننـي أضعـف مـن أهـش أو أنـش...

مـا كنـت أعـرف أننـي سـأحيا فيـك وسـأحيا لـك وسـأحيا معـك راضيـة مرضيـة يرفعنـي شـبابك إلـى الصِّبـا الـذي يزدهــي فــي عينيك..وإلــى طفولتــك التــي لوّنــت حياتــي ببهجتهـا الآسرة...أسـترِد بقلبـي خطواتـك الأولـى تتعثـر فوقــه وكلماتــك الأولــى تتراقــص فــوق صفحــة روحــي وتلامــس شــغافها...حينئذ أســترجع بــراءة الدنيــا مــن نظرتـك الحانيـة تبعـث الـدفء فـي حياتـي القاسـية

روحي

سأسميه روحي قلت وأنت تخرج إلى الدنيا طفلا في جمال القمر

فمك الصغير يغري بالألوان وجهك الملائكي مشروع قصيدة لا زلت أخاف كتابتها..

يداك الصغيرتان تغريان بالقُبل

ككنز ثمين كنت أضمك إلى صدري أتنسم منك إكسير الحياة والأمومة

ككنز ثمين كنت أبيتُ ويداي تتحسس جسمك الصغير تحرسه من الخوف

روحي ؟؟اسم غريب قالوا

لا يهم مادام ليس غريبا عن (روحي).....

كل شيء تغير في حياتي بعد مجيئك..

.لون السماء أصبح أزرق صافيا...الأرض هشت وبشت للحلم الكبير...الربيع دخل فصلا جديدا في عمر كنتُ أعرفه بفصل واحد قاتم وشديد السواد... يوما بعد يوم كنت تكبر أمام فرحي وتزداد جمالا وبهاء في إشراقاتي الأثيرة.

يومـا بعـد يـوم تصغـر الدنيـا وتتلاشـى فـي نظري وتسـقط مـن حسـاباتي تسـقط معهـا معاناتـي عندمـا اختفـى أعدائي دفعـة واحـدة وامتـلأت حياتـي بأنـاس طيبيـن يشـبهون بسـمتك الملائكيـة التـي تزيـن محيـاك الوضـئ.

روحي يا ملاكي الصغير

حـول مهـدك الصغيـر كانـت الملائكـة تسـبّح للملكـوت الأعلـى والأضـواء كانـت تعـزف أناشـيدها النورانيـة... الأنـوار كانـت تحتفـي بأعـراس الشـمس وزفـات القمـر... حـول مهـدك الصغير كانت القلوب تسـجد لعـروش الجمال فـي طفولتـك البهيـة والأيـادي تصفـق لأزاهيـر ابتسـامتك النديـة تتمايـل هـالات مـن فـرح مـع الفراشـات الملونـة بربيعك والنسـائم الرقراقة والعطور الزكية آلاء من جبينك حـول مهـدك الصغير..انعطـف عمـري ليـدور حـول الأيـام بـدأ عدهـا بعـدد خطواتـك فـي أول عثرتهـا... عـدد أسـنانك فـي أول طلتهـا عـدد كلماتـك فـي أول لفظتهـا حـول مهـدك الصغيـر مسـحتُ مـن صـدري كل الغصـص التـي كانـت تنكـر علـى الحيـاة وليـس رغدها...غسـلت شـهقاتي بإكسـير الأمـل حيـن أقبلـت فجـرا باسـما منـة مـن

الله وهدية من الوجود حول مهدك الصغير كتبت شهادة ميلادي طفلة من جديد ترافق لحظاتك لحظة لحظة وتحتضن في كفيها رحيق براءتك ترتشف منه الحياة حول مهدك الصغير فرشت سجادتي وقبعت أردد أذكاري التي أفردتها لحمد الله وشكره على زينتك التي لونت يومياتي أمام صباك فرشتُ للعمر حقول الرجاء ورافقتك فيها حافية القلب والروح أطارد أملا عرفت أنه لن يخيب أمام صباك أفردت للصبر كل المساحات كي أحتضن أحلامك البريئة وأخفيها في طيات الزمن الجميل فلا يتركها خلفه وكي يبدرها في قمم الجبال وطيات السحاب

أمام صباك

فتحت كتاب الزمان أرتل فيه ما هو آت من رجاء وخير وأتلو ما خطته أناملك الصغيرة في صفحة الرونق والبهاء

أمام شبابك

احتفلت بصباي بعد أن أصبحت لي أبا لا يشبه الآباء

أمام شبابك

سحقت كل المآسي ورميت بها في فجاج الدهر ووديانه تلتهمها الرياح المزمجرة.

أمام شبابك

كتبت أسفار كان الربيع فيها عريسا يتسربل بثياب من سندس واستبرق ويتحلى بأساور من أماني وأحلام

أمام شبابك

انهزم الشتاء وكفت العواصف عن الزئير وانتشر الدفء في الآفاق والقمم وانبسطت النعم أمام ناظري لا يحدها وصف ولا يبديها رسم.

لولاك يا ولدي لولاك

لولاك لكنتُ كما مهملا سحقه الجهل وافترسه الهم وداسه الجمود.

لولاك يا ولدي لولاك

لكنت بقايا امرأة تقف عند عتبة اليأس تتسلى بطُهرها النميمة والحكايا تتفنن في وصف مأساتها التي لم تخطر للزمن على بال.

لولاك يا ولدي لولاك

لكنت كتبت بنفسي تلك المأساة فجة وصادمة تتخلخل منها البطولات والمآسي.

لولاك يا ولدي لولاك

لـولاك لمـا اسـتف الرمـادَ قلبـي ولمـا تركـتُ مسـامير الغـل تُـدق فـي أوتـاده وتدميه...ومـا كنـت قبعـتُ أمـام رفاتـه أنـدب رحيلـه الأول والثانـي و.....

لولاك يا ولدي لولاك

مـا كنـتُ أفردت لنفسـي ذكـرا وما كنت حفظـت من دهري سـطرا فأنـا مـا كنـت إلا بـك ولـن أكـون يـا روحـي....؟

حذار من ضلعك الأعوج يا هذا

شـتان شـتان بيـن امـرأة تذيـب أمشـاجها فـي القهـر وتغمس دمها في اللظى من أجل أن تغزل من النجوم سرابيل تقي الحر والبرد وتطرز بفتائل الشمس والقمر صدارات للحب والحب...تمتص بصبرهاالأيوبي أدباغ القطران ورائحته النفاذة كي لا تطفو على سطح الايام التي يجب أن يروها الآخرون هنيئة حتى لو كانت تحياها سوداء حالكا لونها....

شتان بين من ببسمتها الوضيئة تلون الليالي الأساود وتحرك القلوب الجوامد وتبث سحرها في الناتئ والمنحني لكي تجعل من حولها يبتسمون...يحلمون... يتدفقون بالحياة كأنهار لا ترى مصباتها ولا ينابيعها لكن المياه تترقرق في جنباتها فرحة بألقها البديع وبلجين النور يخترق حباتها اللؤلؤية الجميلة شتان بينها وبين أخرى تترصد في المنعطفات كي تحفر مطبات للعمر تنزلق فيها البراءة وتنعرج غليها الغافلات...امرأة تتحين العلل والشبائك كي تدفع بها في اتجاه التداخل والانعقاد والتلوي...

امـرأة تقعـد للفـرح كل مقعـد تنفث السـم فـي النسـيم وتلتهم الهـواء بـرؤوس الثعابيـن السـبعة وكلمـا قطعـتَ منهـا رأسـا ظهـرت أخـرى تخـرج لسـانها الاحمـر المدبـب يرقـص يمينـا وشـمالا مهـددا بالشـرور.....

فـي كل منعطفـات الحيـاة (الجميلـة) امـرأة أفعـى لا يسـلم الدهـر مـن أذاهـا فمـاذا كان أذاهـا؟؟

فـي كل مـدرج للفـرح أنثـى شـريرة تنصـب لـه فخـاخ الغـدر وتحولـه إلـى مأتـم وعـزاء

فـي كل سـبيل للنجـاح سـاحرة تـزرع فـي طريقـه أشـواكا تـؤذي السـالكين وتذيقهـم مـن مرارتـه أكثـر مـن حلاوتـه

فـي كل عُـشٍّ للـدفـء عجـوز مخيفة تنقضّ علـى العصافير التـي بـان زغبهـا وتقذف بهـا في أفـواه الثعابين.

فـي كل حكايـة للحـب مشـعوذة تلقـي بأحجبتهـا وتمائمهـا تحـت مسـاند الأمـن والراحـة والعطـاء.

فـي كل حديقـة للنور حرباء تتلون بألوان أزهارها وتتسـلل إلـى عطورهـا تنزعهـا وترمـي بهـا فـي مهـب النسـيان.

قـدر ينطـوي بيـن كل امرأتيـن شـتان بينهمـا تتصـلان وتنفصـلان فـلا أدركـت إحداهمـا الاخـرى ولا كفـت الأخـرى عـن الأخـرى.

قـدر ٌأن تقعـد امـرأة لامـرأة كل مقعـد وتـدرك منهـا كل مـدرك وتأخـذ منهـا كل مبـرك

قدر أن إحداهما تتفانى والأخرى تتدانى فإذا هي أقرب

وقدر ٌأن إحداهما تذوب والأخرى تتوهج وتشتعل

قدر أن امرأة تزرع وأخرى تحصد

وشـتان شـتان بيـن تلـك التـي تنسـج والتـي نقضـت غزلهـا مـن بعـد ذلـك أنكاثـا.

لكن؟؟

أهو القضاء والقدر أن تكون صانعى الاثنتين لا غيرك

أنت الذي تمتصها جنينا ورضيعا وتبتهج بها شـابا ويافعا.

..تتكـئ علـى حنانهـا كهـلا وشـيخا...أنت الـذي تئدهـا فـي قبـر أنانيتـك فـلا تـزال فـي عتمتـه تتعامـى حتـى إذا ضـل بهـا السـبيل راحـت تخبـط خبـط عشـواء

فحـذار حـذار مـن فـج كبيـر قـد تتخاتـل بيـن خيوطـه وتتكفـئ منـه علـى نكسـة .

حـذار مـن نفـق أفعوانـي قـد تلتـوي بـك مداراتـه المعتمـة ومـن مسـلك تظنـه متسـعا فـإذا هـو يضيـق ثـم يهـوي فـي قاع سـحيق.....

حذار من مكر الليل والنهار
حذار من ضلعك الأعوج

كل عيد وأنت حبيبي يا وطني

تمر الأيام والأعوام تلهو بأحلامنا وتعبث بما رسمناه في فورة الصبا وتظل وحدك ذلك الحلم الذي لا يتغير ولوحة الخلود المرسومة بالدماء والدموع
الموسومة باللهفة والخضوع

يا وطني

كلما كان لي موعد مع الفرح كنت أنت هذا الفرح الذي لا يوصف.

ولا يُنقل إلا عابرا للقلوب محتضنا للمعان العيون تترقرق فيها الأماني التي لاتحد ولا تنتهي...

آه يا وطني

وددت لو دفنت آهاتي في أناشيدك الرائعات، ووأدت حسراتي في جبالك الشامخات،وددت لوعدتَ بي وعدتُ بك إلى بدء البدء حيث الحُلم كل الحلم لا نصفه لا بعضه لا ثلثه

كم كنتُ كبيرة بأحلامي فيك يا وطني
وكم أنت كبير وأنت تطوح بها على أرصفة الخيبة

أنا الموءودة التي ما سئلتُ بأي ذنب قتلتُ ومن قام باستلال خيوط الفجر من مغزلي في ظلمات الليالي الحالكات

كل عام وأنت حبيبي يا وطني

تطأ أجفاني بأقدام من إهمال

تُبعثر أحلامي باستهتار

كل عام وأنت حبيبي يا وطني

تهملني وتتآى عني.....تذروني كما الهباء

فالملم شتاتي وأجمع هبائي كي أضعه في باقة عدم

أدنو بها من عرشك وأقدمها لجلالك

وأبحث عن كل ما تحب فأفعله كي أرضيك

فهل ترضى هل ترضى عني يا وطني ؟؟

على مشارف الضياع ألتقيك حلما قارب الانتهاء وما بدأ بعد

هل أضعتك يا وطني أم أضعتني؟؟

ما زلنا أنا وأنت كلانا على مرمى ضياع

صباح الخير يا جيجل

تقديم

إليك يا جيجل

إلى أبنائك المنتشرين في كل مكان

اشـرعي جيجـل صـدرك واستنشـقي رذاذ بحـرك فـي صباحاتـك الكسـولة..... .

النـدى ينثـر علـى صفحتـك غلالتـه الطريّـة بمـاء البحـر ويتـلألأ علـى جبينـك الوضّـاح

البحر الذي يجاورك وتجاورينه منذ الدهرو المدى.....

إنــه ينكمــش وينحنــي ليغســل أقـدام لالــة (مزغيطــان) ويخجـل أن يكشـف عـن سـاقيها فهـي تعـرف أنـه لجـة وليـس صرحـا ممـردا مـن قواريـر.....

جيجـل أيضـا لا تكشـف سـاقيها ولا وجههـا إنهـا تلّـف جسـدها الممشـوق بلحافهـا الحريـري الأبيـض ونقابهـا المطّـرز بأنامـل ربـات الخـدور الماجـدات.....

جيجـل التـي لا تعـرف إلا مـن مكحـول العيـن وحجـاب التقـوى تتهـادى فـي رحبـات فسـيحة لا تعبـأ بمـا يجـري

فـي الزمـن مـن أثـر لأنهـا الزمـن الـذي لا يتغيـر ليلـه ولا نـهـاره ولا تغيـب شمسـه ولا يحجـب قمـره.....

انهضـــي جيجــل وافتحـــي بابــك علـــى مصراعيـــه ولا تواربيـــه فليـــس لديـــك وراء الأكمـــة ســـوى الصالحيـــن أنت المنبعثة من التوبة تحوطك أدعية الأولياء.....

جيجل

يـا عـروس البحـر لازلـتٍ تختالين فـي جناتك المعروشـات تتكللين بالرياحين تسـاجلين المدى وتبسـمين للبحر,

لازلـت تقصّيـن حكايـا أسـطورية عـن ريـاس البحـر الذين لا زلــت تتبخريــن برائحــة دخــان ينبعــث مــن أخشــاب مراكبهـم العتيقـة التـي احترقـت عنـد (جبـل السـاعة))

عطــر بخــورك العجيــب طــرد الغاصبيــن رغــم واقعــة (لاكريــت))

طهّـرَ قلـب المدينـة التـي حمـل أجمـل مـكان فيهـا اسـما غريبـا لكنــه ذو معنــى(بيــن النصــارى))

مـن ذا الـذي كان يجـرؤ علـى دخول حي (بيـن النصارى) سـوى من تعرفيـن ونعرف؟؟

مـن كان يعتقـد أن صـوت شـارل أزنـافـور سـيغادر سـماء الحــي الراقــي؟؟

جيجـل يـا مدينـة لا شـرقية ولا غربيـة لكـن مباركـة بمـا تحفظيـن,..... ثابتـة بمـا تؤمنيـن,... خالـدة بمـا تحسـنين.... صالحـة بمـا.... تظهريـن.....

يـا مهـد (البركـة) أسـد البابـور وعبـاس سـيد الساسـة والصديـق سـيد المفاوضيـن

يا مهد المجاهدين والشهداء

يـا مدينـة أضاعـت قلبهـا ولـم تضـع لقبهـا أشـرعي قلبـك للمريديـن والأتقيـاء وصُّمـي أذنيـك عـن نشـاز الأصـوات.....

لا تـردي لهـا صـدى فـي أوديتـك المقدسـة فـي سـفوح (تاكسـانة) و(سـيدي عبـد العزيز)(والعوانـة))

ولا تتخلـي عـن شـموخك فـي جبـال (الميليـة) و(زيامـة منصوريـة))

جيجل

أيتها الصالحة التقية

لازالـت سـماؤك تصـدح بأدعية التقـوى... ترددها حناجر المؤمنيـن فـي أفـواج بيضـاء كمـا الملائكـة المجنحيـن

أيتها المستورة

لا زلـت تتدثريـن بألحفـة العفـاف والعفـة وتتخفيـن بظـل

الحيـاء المنيـر تُشـرق بـه أيامـك ولياليـك البهيـة
لازالــت صباحاتــك نديــة بالإيمــان معطّــرة بالأدعيــة صادحــة... بالرجــاء، عامــرة بالخيــرات يملأهــا الأمــن ويغمرهــا الأمــان

يا جيجل المقدسة

لا زلتِ قطعة من الأقداس، وظلا من سكينة، ومساحة من إبهار، وحكاية من عزّ، تسامى بالتواضع وارتفع بالإنكار.

جيجل

يـا مدينـة متربّعـة علـى عـرش القلوب متوّجة بـكل الحنين
زادك هـوى كل القلـوب ونطاقـك ألـق العيـون الولهـى ببهـاء حضـورك الجليـل.....

يــا قــرة العيــن ويــا ســويداء القلــب يــا جيجــل المقدســة ســعدتِ ووعــدتِ فاخرجــي يديــك البيضاويــن مــن غيــر ســوء والقــي بعصاك السـحرية لتبهري عيـون الزمن.....
اخرجي كنوزك من الكهوف و المغارات العجيبة في تيشي ارقصــى دبكتــك الأبديــة فــي ربــى المجــد والخلــود فــي جيملــة والرواشــد والشــقفة والطاهيــر

يــا حاضــرة ليســت كا لحواضــر ويــا مدينــة لا تشــبه أيــا مــن المدائــن

التصقـي بالبحـر... وجاوريـه.... كمـا كنـت ولا تزاليـن وآمنـي له...وانكري غدره ومكره فانـت لا تعترفين بهما استمعي فـي صمـت إلـى أسـاطيره العجيبـة استمتعي بـه يـرش خلايـاك بـرذاذ مـدّه وجـزره فقد أمنـت غـدره واستسـلمت لخـذره اللذيـذ.....

يا مدينة من الأساطير

وأسطورة في القلب

كنت ولا تزالين فوق الأساطير

آمني ياجيجل لمن شئتِ وابسمي للوجود بحياء وخفر

آمني لشواطئك الذهبية.....لصخورك يداعبه البحر

آمنـي لبحـرك عندمـا يصفـو وتـلألأ أمواجـه وآمنـي لـه عندمـا يهيـج ويثـور ويعلـو صوتـه مزمجـرا فـي ليالـي الشـتاء فتـردده جهاتـك المخيفـة فـي الجبـال والكهـوف... آمنـي لأهلـك الطيبيـن البسـطاء...عندما يكدحون...عندمـا يصبـرون ....عندمـا يعشـقون عـروس البحـر التـي لا تشـبه سـواك

آمني لما تريدين...؟؟

لكـن لا تأمنـي أيتهـا الآسـرة قلبـي فقد يغرقـك هـذا القلـب يومـا بأمواجـه المتلاطمـة التـي لا تعـرف الهـدوء والتـي

لا تشبه سوى الزلازل و الطوفان

توضيح

مزغيطان جبل يقع في المخرج الغربي لمدينة جيجل
رياس البحر عروج وخير الدين بربروس
البركـة لقـب أطلـق علـى الشـهيد دخلـي مختـار أثنـاء الثـورة
عباس هو فرحات عباس رئيس أول حكومة جزائرية
الصديـق هـو محمـد الصديـق بـن يحـي وزير ودبلوماسـي معروف
جبل الساعة حي قديم يقع في وسط المدينة
بيـن النصـارى حـي راق فـي وسـط المدينـة كان يسـكنه المعمـرون
لاكريـت حـي فـي أعالـي المدينـة كان يسـكنه الأهالـي وأعـدم فيـه الاسـتعمار الفرنسـي مئـات المواطنيـن أثنـاء الثـورة ولازال بعـض النـاس يطلقـون علـى تلـك المجزرة(العيطةانتـاع لاكريـت)
تاكسـانة.... سـيدي عبـد العزيـز.. الميلية...زيامـة منصورية....تيشي....العوانة.....الرواشـد.... جيملـة...

الشـقفة...الطاهير....كلها بلديـات وبلـدات فـي ولايـة جيجـل وهـي مدينـة سـاحلية تقـع شـرق الجزائـر العاصمة

أنهار الحياة

حين تتدفق الأنهار مترقرقة بمياه الحياة المتلألئة..لن تأبه أبدا إن تجرّأ بعض المهوسين بالقذارات

فألقى فيها شيئا منها بل تمضي في سيرها وهي تقذف بها على جوانبها كما تفعل مع الطمي الذي يدوسه المارة

إلا أن المارة سيأنفون من تلك القذارات ولا يدوسونها حتى بأقدامهم ولو كانت نعالهم من مطاط سميك.... أما تلك الأنهار الطافحة بالحياة فلن تلتفت كثيرا لمجراها مادامت مصباتها رائقة وشفافة وتشبه اللّجين المصفى.....

وحين تبتسم شمس الصباح وهي تحيي الكون الجميل بأشعتها الذهبية فهي بالتأكيد لن تلقي بالا إلى عاشق للظلام قد يلجأ إلى الجحور والمغارات حتى لا يستنير بضوئها لأنه أنس العتمة واستأنست بها روحه وأصبح كالخفافيش لا يظهر إلا تحت ستائر الليل الحالكة بالسواد.....

وحين تستمع المخلوقات للكون وهو غارق في

التسبيح للملكوت الأعلى بنغمة ملائكية عذبة فلن يهتم أحد بالكفّار والعصاة لأن أصوات الذِّكْر ستطغى على كل نشاز وسيندمج الجميع في صلاة كونية تخشع فيها القلوب و تسجد لها الأشجار وحينذاك تُسلسَل الشياطين والمردة....ولن تسمع سوى رفيف أجنحة الملائكة الأطهار يضعونها لعباد الله المتقين فرحا بما يصنعون.....

الحياة لا يوقفها السواد ولا ينهيها الفساد..لأنها سر الخالق الذي يبديْ ويعيد

الفعال لما يريد ذي الإنتقام الشديد .....

النور لا تطفئه حرقة الغيورين وحسرة الحاقدين وإفراط الجاهلين...الذين يريدون الاحتفاظ بالشمس في بيوتهم والقمر في جيوبهم

أولئك المتطفلون الذين يحرسون الأنفاس والخلجات ويحاكمون المشاعر والخفقات

أولئك الصدئون الذين ران على قلوبهم الحسد وعشّشت العناكب في زوايا نفوسهم المليئة بالخرابات هؤلاء الذين قد نحيّيهم بالرغم من كل ما نقول عنهم لأنهم جعلوا للنور معنى من انغماسهم في الظلام

أفـردوا للجمـال أشـرعة سـوداء يريـدون المغامـرة فـي قـوارب مثقوبـة باليـأس

ليـس هدفهـم الإبحـار ولا المغامـرة ولكـن أن يتفرجـوا علـى العواصـف الهوجـاء وهـي تعبـث بالقـوارب الخفيفـة والـزوارق الورقيـة لأنهـم لا يدركـون أن السـفن المرتفعـة التـي اختارهـا البحـارة الحقيقيـون عصيـة علـى الغـرق منيعـة علـى الاختراق....وتعـرف كيـف ترسـو علـى مرافـئ الأمـان.....

هـؤلاء الذيـن جعلـوا للروعـة ألقـا... لمـا يفيضـون بـه مـن الجهـل والـرداءة أو ليـس بضدهـا تعـرف الأشـياء؟؟.....

ولـولا الشـر لمـا عرفنـا فضـل الأخيـار لـولا السـوء لمـا أدركنـا للإحسـان قيمـة.....

هنيئـا لعشـاق النـور بالخفافيـش والبـوم الذيـن يحومـون فـي الظـلام فيلهمـون النفـوس الحالمـة بقصائـد باذخـة العطاء.....سـامقة البهاء....سـاطعة النـور....

هنيئـا للحيـاة بأعدائهـا الذيـن جعلوهـا تحدّيـا وبأسـا متجـددا وتسـتحق أن نقـارع مـن أجلهـا....

يا أعداء الحياة والنور

أنهـار الحيـاة لـن تتوقـف عـن الجريـان لأنهـا صديقـة للغيـوم الممطـرة وفيـة لسـرها الـذي جعـل منهـا كل شـئ يضـج بالروعـة

والبهاء ويعبق بالنور والألق

يضج بالحياة

يا أعداء الحياة

أوفـوا بعهدكـم فإنهـا بكـم تسـتمر وتبقـى ويصبح لهـا معنى

عندما يأتي المساء

عندما يأتي المساء تنبثق من مساءاته الحزينة سيوف العناء ترقص أمام غيني فتتململ الروح وتغمس ريشة العذاب بحبر العيون لتخط سواد الليالي التي اجترحتها تجتر الصمت وتبتلع الفراغ تستفه كرماد يتحشرج في الحلق وتطول لحظات النزع الأخير....
ترتعش أنامل الزمن وهو يوقع هذا الخواء المهول.....

عندما يأتي المساء

أبحث فيك عني وأبحث عني فيكفلا أجدني ولا اجدك..ويحتويني ذلك الفراغ المهول فيسحبني إلى هوة سحيقة لا قعر لها ولا قرار
ترتجف أوصالي وعروقي ولا أعرف من نقسي سوى هذا اللا شئ الذي يفزعني

قبل هذا المساء

جئتك أمد صباي على راحتي
تحتفي الفراشات بلون وجنتيَّ
ترتشف رحيق الحياة من رغبتي واشتياقي

قبل هذا المساء

جئتـك ألتـف بعفافـي وأتوضـأ مـن نـور طهارتـي الـذي تزقـزق لــه الطيـور وتبسـم لــه الشـمس...ويالق لــه القمــر....

قبل هذا المساء

جئتك

أفيض بالكنوز

أمتلئ بالحكايا الجميلة

البراءة كانت داني وديدني

والنقاوة ترجح كفة ميزاني

قبل هذا المساء

كنت أرى الجمال يحتفي بالأمكنة

ترقص له الأزمنة

الضحكات تترقرق في بحيرات العيون

لم تكن للأسماء عندي معاني أفهمها

ولا للمعاني أسماء أقرأها

كنت أغتني بلحن جميل

وأطرب شعر ينساب من فم شاعر يحلم بغد أجمل

قبل هذا المساء

كنــت أطيــل صلاتي..وأخشــع فيها....أنتقــي أذكاري وأدعيتــي...

أهرب إلى سجادتي كي أرتاح

أسلم روحي لمن حباني بالحياة آثرني بالنعم؟؟؟

وكنت أدعو ألا يحرمني منها

قبل هذا المساء

كنت أحب الحياة وأعيش لحلمي القادم فيها

وكنـت علـى أهبـة أن أضحـي بـكل العمـر مـن أجـل أن أنبهـر بلفتـة مـن الحلـم الجميـل

وعندما أتى المساء

فرت الفراشات من حولي تاركة لي كل القضاء

سـخرت منـي النجـوم لأنـي مازلـت أحتفظ بثوبـي الأبيض فـي خزانـة الحزن

ضحك مني القمر

وأنا مازلتُ أكتب له قصائدي وانشدها لاشعته البهية

الشــمس أخرجــت لــي لســانها ووهجهــا أحــرق قلبــي وأعمــى بصــري

سألتني

ماذا بقي من الكنز؟؟ أيتها الطفلة المغرورة؟؟

عندما أتى المساء

تخلى عني الزمان

أنكرني المكان

انطفأت عيناي من القهر

عندما أتى المساء

استنجدت بما بقي من أورادي....يتوكأ على ذاكرتي المثقوبة بالفراغ

هرب من الحلم القادم وانتهى العمر عند حافة هذا المساء الحزين

ولم أجد لقلمي حروفا تملأ الفراغ

لم أجد شيئا أقوله هذا المساء

لم أجد كلمات تواسي مغامرتي في المجهول

عندما يأتي المساء

أكتب.....أكتب.....أكتب.....عندما يأتي المساء

فك قيد روحي

ولـدت حـرة شـفيفة الـروح أحلـق حيـث الفضـاء الواسـع
واتملـى المـدى والكـون الفسـيح.
لماذا لازلت لم تفهم أنني لا أطيق عبادة الأصنام ؟؟
لماذا تطبق على صدري وتحبس انفاسي
أنا لست أنت
ولن أكون سواي
أنا لست ملكا لك
وسأبقى ملكا لأشعاري وكلماتي
لأسراري وأمنياتي
لا ثمن في الحياة يساوي حرية روحي
لا مقيـاس يغرينـي أبـادل بهـا رفرفـة احلامـي فـي عالـم
القابضيـن علـى النجـوم
لا تغريني دورك وقصورك
لا تثيـر انتباهـي مراكبـك المزينـة بالديبـاج بـل تزيدنـي
زهـدا فيهـا لأنهـا تفضـح غـرورك
أيها العابر فوق آلامي
حزنا وألما وأسى

أيها القابض على أنفاسي في يمينك
حرر روحي وفك قيدي
أعطني حريتي
شاخت روحي وما شبعت من أنسام النقاء
ظمئت ولا أزل تبحث عن نبع رائق للمياه
لازلت كعهدي بك تلوث صفوي وصفائي
لا زلت تعكر نبعي ومائي
لازلت تحشرج صوتي
تغص بك لقمتي
وتشرق أنفاسي
يا وطنا كرهته
كما الوثن لا تتغير ولا تتحرك ولاتنطق
يا وطنا من ورق
فك قيد روحي واطلق سراج قلبي الذي تاه في الالتواء
ضاع في دروب الهواء
وطن اللصوص والمغارة والصعاليك والبحارة
أطلق سراحي، أعد إلي براءتي وقناعتي
أعد إلي بساتين التين والزيتون وجمال سنين

لماذا تربط روحي بأنانيتك
تقيد أفكاري بتلفك
يا وطنا أدمنته
اقتلني فالقتل فيك حياة

الفهرس

إهداء 5

مقدمة 7

إشراقة الروح 15

عتاب 19

إنه زمانكم 28

وتدور العجلة 33

لم رحلتِ أمي؟ 38

أمي يا كل الحياة 43

فلسفة الحياة 49

شظايا الانكسار 53

صمت الرحيل 60

أنا وأنت 66

شذى عمري 72

تحت الرماد 77

مرافئ الأمل 82
جميلة الوجع الإبداع 86
ظلال الحقيقة 90
قفي هنا حيث أنتِ 94
كنزي يا أنت 98
لو نظرت إلى وراء يا والدي 104
انتحار 111
ماذا أهديك أمي ؟؟ 116
لا تكتبي بضغينة 124
امرأة وأخرى 132
يا رجلا من جليد 137
الهوى والصقيع 141
امرأة الجحيم 144
بلقيس 149
ظلها 156
لولاك يا ولدي لولاك 160
حذار من ضلعك الأعوج 166

كل عيد وأنت حبيبي ياوطني 170
صباح الخير ياجيجل 172
أنهار الحياة 180
عندما يأتي المساء 184
فك قيد روحي 188